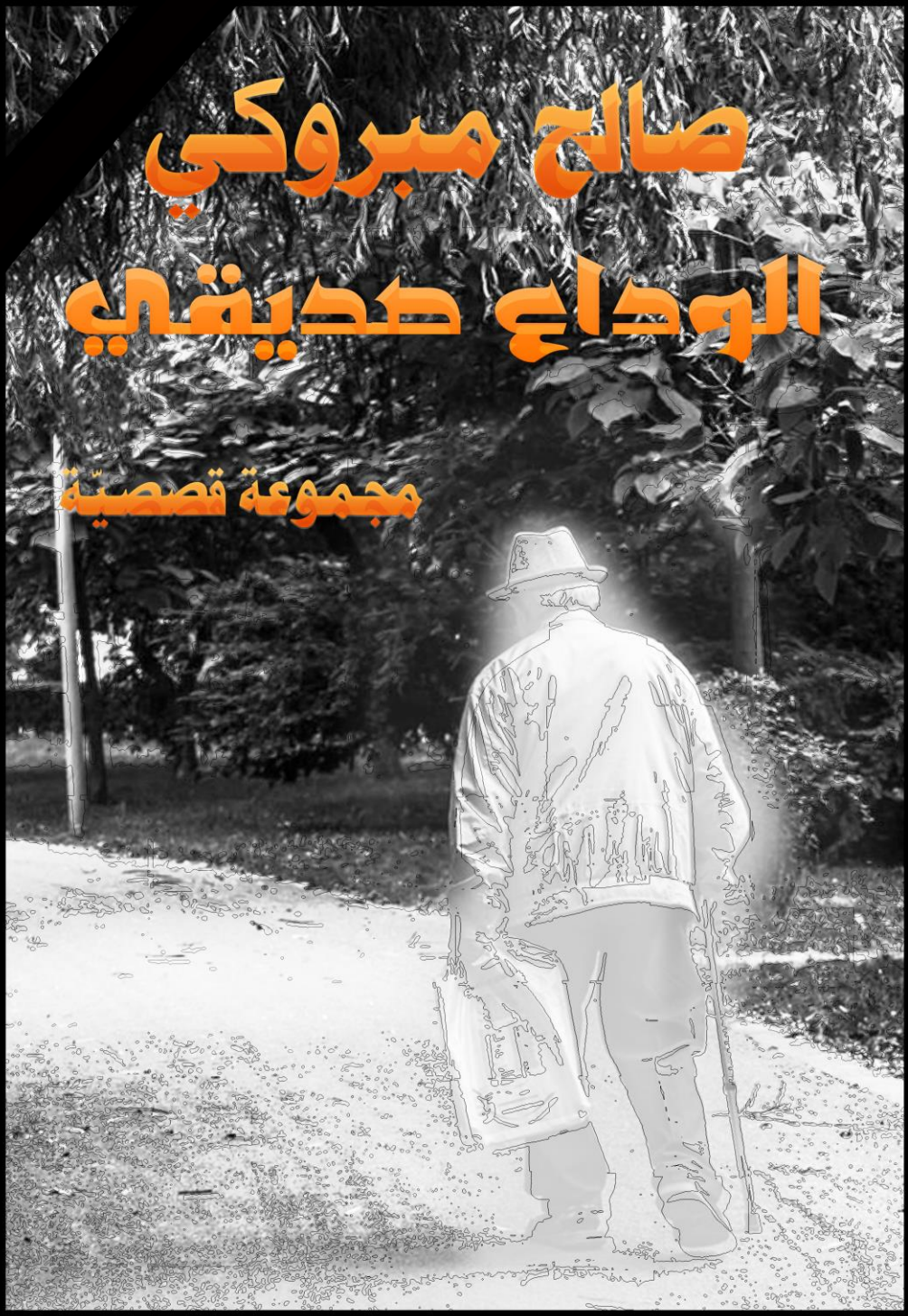
صالح مبروكي
الوداع صديقي
مجموعة قصصيّة

الوداع صديقي

مجموعة قصصيّة

بقلـــــم:

صالح مبروكي

- **صورة الغلاف و الرسومات الداخلية من انجاز الكاتب – جانفي 2020.**

جميع الحقوق محفوظة للكاتب 2020

ooooooooooooooooo

الوداع صديقي.. -صالح مبروكي-2020

فهرس المحتوى

العنوان الصفحة

- **الإهداء.....صفحة 4**
- **تصدير.....صفحة 5**
- **1-سفر.....صفحة 6**
- **2-صحفي الحيارى.....صفحة 14**
- **3-الوداع صديقي.....صفحة 75**
- **4-الكـــاتب.....صفحة 106**
- **5-بداية البداية.....صفحة 110**
- **6-عثمان و الجنيّ.....صفحة 114**
- **7-رسالة عشق .....صفحة 125**
- **8-"فلنذهب الآن.." .....صفحة 132**
- **9-مدمن مناظرات وظيفية.....صفحة 151**
- **10-عرس زينة.....صفحة 162**
- **11-"مصرع" مدرّس.....صفحة 172**
- **12-خرافة جدتي.....صفحة 177**
- **13-إنقطعت المكالمة.....صفحة 182**
- **استطراد.....صفحة 188**
- **تعريف الكاتب.....صفحة 189**

الإهـــــداء:

إلى والدي العزيز و صديقي الدائم الذي علمني ان الحياة عطاء بلا حدود و أن شرف الإنسان في المحاولة و مقارعة الفشل حتى آخر رمق في سبيل النجاح.

-صالح مبروكي-

تصديـــــــــــــر:

"وهل يأبق الإنسان من ملك ربّه
فيخرج من أرض له و سماء"

- أبو العلاء المعري -

ooooooooooooooooo

الوداع صديقي.. -صالح مبروكي-2020

سفـــــر..

الساعة السادسة مساء، الظلام سرعان ما دبّ في الكون كعادة غروب الشمس خلال الشتاء. غادر فتحي مقر عمله بإحدى الإدارات بشارع "محمّد الخامس" بعد أن حيّي زملاءه الذين هموا بدورهم بمغادرة المكان.

لشد ما أتعبته هذه الوظيفة، ثمان ساعات يوميّا -ما أطولها- و كم كان يتمنى أن يقضيها مع زوجته مريم و ابنه الصغير أحمد. و لا يهم العمل و لا المسؤوليات. المهم أن ينعم بدفئ عشه الصغير. لكن آنا له ذلك و الواجب يحتم عليه أن يكدّ و يتعب من أجل هذه الأسرة التي يحبّها حدّ العبادة.

توجه فتحي إل محطة الحافلات "بساحة برشلونة" ليعود إلى منزله ببنعروس على متن الحافلة رقم "22". السادسة و عشرون دقيقة، توقفت الــ"22"، تجمهر حولها أناس كثيرون في انتظار أن يفتح قابضها الباب، لكن لا الباب فُتح و لا "الخلاّص" حلّ بالمكان.

أشعل فتحي سيجارة "ليقتل" بها الوقت ريثما يأتي "سيّدنا القابض"، ثم دخن ثانية و ثالثة دون أي تغيير على الساحة، انتبه من شروده، بحث عن أولائك المتحلقين حول الــ"22" فلم يجدهم. هل ذابوا أم تبخروا أم رحمهم الله فانشقت الأرض لتبتلعهم، و تريحهم من هذا العذاب اليومي. حمد فتحي ربه أنه لم يكن بمعيتهم فهو يحي أسرته و يكره أن يُحرم منها. حتى ولو كان البديل جنّة الخلد.
تتبعت عيناه حافلة تغادر مسلكها بعد أن امتلأت ركابا حتى غصّت، جرى نحوها، سارت و ابتعدت.

إنها الـــ"22" التعويضيّة التي عوضت تلك المعطّبة التي مكث فتحي حذوها وقتا طويلا. يعب دخان سيجارته، سابحا في محيطات مترامية من الحيرة و القلق. و إذا برجل يخاطبه: "خوي ستنى نصيف ساعة.. عدها جات الثنين و عشرين لخرى."

لم يستمع صاحبنا للرجل الذي أعاد على مسمعه تلك الجملة مرارا دون أن يعيره فتحي انتباها، حركه الرجل برفق من كتفه الأيمن قائلا: "خوي.. سمعتني؟"

ظل فتحي شاردا يحرق السيجارة تلو الأخرى. لمّا انتبه من حالته تلك نظر إلى ساعته. انتفض و كأن عقربا لدغته، تأفف و تف على الأرض متمتما: "جننتني هالـــ"22" إلى الجحيم أيتها "القحـــ.. الصفراء."

ابتعد عن المحطة و هو يسب و يلعن و قد انتابته حالة قصوى من الغضب "الهستيري" على غير عادته. عندما هم بعبور سكة "المترو الخفيف"، فجأة تلقفه رجل عظيم البنية مرددا: "اشبيك تحب

تُقتل روحك يا راجل؟". ثاب فتحي إلى رشده، انتظر مرور المترو -الذي كاد يدهسه منذ لحظة فاتت- ثم خفّ سيره كالمسحور نحو الشارع المقابل و عند ناصيته أشار إلى تاكسي بالوقوف.

-"هزني البنعروس.."

-"بنعروس..اركب.."

-"نهج الساحل.."

-"دكوردو.."

انطلقت السيارة و بعد حوالي عشرين دقيقة كانت رابضة أمام منزل فتحي-المتواضع- نزل صديقنا من "التاكسي" و كلم السائق بصوت مرتعش:

-"بقداش..؟"

-"ثلاثة دينارات و نص.."

-"تفضل.."

هم بدخول منزله متلهفا..

-"خوي هاك بقية فلوسك.."

لم ينتبه فتحي لنداء الرجل وواصل سيره متعثرا. ولج باب بيته لاهثا.. متعرقا.. كان متعبا و كأنه يحمل على كتفيه ثقل الكرة الأرضية. لم يحسّ

يوما بالإرهاق مثلما يحس الآن. فتح الباب، اعترضه الصغير أحمد هاشا باشا: "با..بابا..جا.."مجددا لم ينتبه فتحي لما يدور حوله.. حتى أنه لم ينتبه إلى ابنه و راح يواصل طريقه ليدخل مباشرة إلى "بيت الحمام". أغلق بابها دون أن يقفله، فتح حنفية الماء (على آخرها..) ثم اقحم رأسه تحت الماء الذي تدفق باردا لعلّه يستطيع تبريد رأسه المشتعلة بهواجس و كأنها قنابل موقوتة. سرقته غفوة ناعمة لم يستطع مقاومتها، فأغمض عينيه و ســـــافر..

ابنه الصغير أحمد لم يتجاوز السنتين من عمره، هو كل حياة أبيه و أمه. يحبه فتحي كثيرا و طالما انتظر مجيئه بفارغ الصبر و هو ما يزال قابعا في رحم أمه، مريم. كم من مرّة لاعبه و كلمه و هو هناك. اليوم لم ينتبه إليه و كأنه غير موجود..

ooooooooooooooooo

أما مريم، فهو يعشقها كما لم يحب زوج زوجته من قبل و من بعد. نسيّها اليوم و نسي أن يقبلها على ثغرها مثلما يفعل كل يوم منذ تزوجا لحظة يعود من عمله مساء.
تسرب الماء من تحت باب "بيت الحمام" و اندفع منسابا حتى وصل إلى المطبخ حيث كانت مريم تعد طعام العشاء "مقفول كسكسي" مثلما يحبه فتحي و أحمد يلعب بجانبها. انتبهت مذعورة إلى ذلك الماء.. خاطبت صغيرها:
"لواه تبزع فلما هون يا حمد يا وليدي.." كلمته و هي تقبله و تمسح أنفه من المخاط ثم قالت له ثانية و هي تغادره: "ستن لهون حتى نجيب خرقة نشف بها لما الي كبيتو و نرجعلك.."
خرجت مريم من "الكوجينة"، توجه الصغير إلى موقد النار، تعلق بالقدر جذبه إليه فانصب بما فيه عليه. شهق شهقة واحدة حتى أنه لم يبك..
عثرت مريم على مصدر تسرب الماء، فعرفت أن زوجها عاد من عمله و ربما يكون بصدد الاستحمام، ذلك أنها سمعت صوت الماء يسيل.

خاطبت زوجها و هي تقف بجانب الباب المفتوح قليلا:

-"فتحي.. حبيبي.."

-".."

-"صكر سبالة الدوش.. راو الماء وصل للكوجينة..و قرب يزلّق حمد..

-".."(صمت و صمت.)

-"شيري.. سمعتني..؟"

-".." (صمت و صمت.)

-"فتحي.. فتحي آش بيك ماكش تسمع فيّ..؟".."تقُل.."

-".."(حتى الصمت انخرس..)

دفعت مريم الباب في هلع شديد، تعثرت في جسد زوجها الملقى و ماء الحنفية ينهمر عليه. صرخت، ولولت، حركته.. حاولت انهاضه، لا حراك، "ناحت.."

فات الأوان و قد عادت روحه إلى سمائها. تذكرت في غمرة فجيعتها ابنها الذي تركته بمفرده.

ooooooooooooooooo

الوداع صديقي.. -صالح مبروكي-2020

ركضت باكية ثكلى نحو المطبخ. أثناء ذلك بدأ جيرانها يتوافدون على مسكنها بعد أن سمعوا عويلها.
في المطبخ بحثت بعينين تملأهما الدموع عن صغيرها.

-"حمد.. بابا، وينك، ايجا شوف بوك إلي مشى و خلانا وحدنا..
آه يا وليدي.."
-".."(صمت كصمت لفّ أبيه منذ لحظات فاتت..)
"حمـــــــ.."

-تمت-

ملاحظة: هذه القصة بأحداثها و أطرها و شخوصها لا تمت إلى الواقع بأية صلة..

ΔΔΔΔΔΔΔΔΔΔΔΔΔΔΔΔΔΔ

الوداع صديقي.. -صالح مبروكي-2020

صحفي الحيارى..

يعمل السيد "المتفائل دائما.." كمحرّر لركن "قلوب في دوامة" في احدى الصحف الأسبوعية المشهورة جدا على الساحة الإعلامية. يطالعها الخاص و العام، الكبير و الصغير، الجاهل و المتعلم، الرجل و المرأة. صحيفة لا تجامل و لا تعادي و "تعطي لكسرى ما لكسرى" مبدؤها الأول و الثاني و الأخير خدمة البلاد و العباد بالتوعية و المساهمة في بناء العقول و ترشيدها إلى ما فيه خير الكلّ.

تفوق مبيعات هذه الجريدة الشعبية مبيعات اكبر الشركات التجارية و اكبر محلات "الكفتاجي.. و الملاوي". الكل يقرأها و هي الجريدة الوحيدة التي لن يعيرك اياها جارك إذا انت طلبتها منه بعد أن تنفذ من أكشاك الجرائد.

نجم هذه الجريدة و محرّرها الأوّل كان يُعرف باسم مستعار "المتفائل دائما.." يشرف على تحرير ركن "قلوب في دوامة.." الذي اشتهرت به

هذه الجريدة على امتداد ثلاثين عاما. منذ ثلاثة عقود و صديقنا يشرف على حظوظ هذه الصفحة الإجتماعية-العاطفية-النفسية.. ساعد ملايين الحيارى و انتشل ملايين الضائعين التائهين من جحيم مشاكلهم و مد يد العون بالنصيحة و الإرشاد و التوعية لمئات الآلاف من الفتيان و الفتيات في مقتبل العمر: من المراهقين و المراهقات و الناضجين و الناضجات.

جميع القراء يراسلونه من كل مكان حتى من مناطق الظل و يكتبون له عن مشاكلهم و هواجسهم الذاتية-الشخصية، الأسرية-الإجتماعية و حتى الخاصة جدا جدا.

إذا أقبل يوم الجمعة من كل اسبوع على مدار السنة فلن ترى في الأيادي غير جريدة "الفصيح" تنتقل من يد إلى آخري و تتفحصها العيون بنهم. عيون من يحسن القراءة و من لا يحسنها. تُشترى هذه الصحيفة الجماهيرية بهذه الصورة المنقطعة النظير بفضل نجمها السيد "المتفائل دائما.."

منذ ما يزيد عن ثلاثة عقود من الزمن و صاحبنا المحرّر لا ينقطع عن تحرير ركن الحيارى الضالين. لم يهمل يوما رسالة لقارئ ولو كانت بسيطة و سطحية المحتوى. يجيب عن جميع أسئلة من كاتبوه و عن كل ما يجول في خاطرهم و قد عُرف بالتواضع و التبسّط، حتى أن القراء كانوا يطلقون عليه إسم "صحفي الشعب."
فهذه فتاة تكاتبه من داخل البلاد عارضة عليه مشكلتها الشخصيّة على النحو التالي:
"سيدي، (المتفائل دائما..) لشد ما تسعدني مراسلتك و كم يطيب لي أن أتعرف عليك.
في البداية، أعرض عليك مشكلتي. إسمي سميّة(...) من مدينة (...) بشمال البلاد. تلقيت تعليما محترما و بعد تخرجي مكثت بالمنزل في انتظار التعيين. طال انتظاري و تأخر التعيين . اكتنفني احساس بغربة هوجاء رمت بي في بركان مستعر من اليأس و الإحباط. مرت سنة و تلتها أخرى حتى توقفت عن التأريخ للزمن. وهن

جسمي و خمدت أنوار شبابي فصرت شبح فتاة لا غير. هزيلة و صفراء.
حارت أمي في ايجاد دواء لحالتي فزارت بي جميع الأطباء و حتى العرافين و المشعوذين دون جدوى. فكانت حالتي تسوء يوما بعد يوم. أما أنا فكنت أعلم أن علاجي في تكسير طوق الرتابة الذي يسجنني و يخنق ما بقي لي من أنفاس. قررت في لحظة لاوعي أن أحل معضلتي بطريقتي.
عرضت نفسي على أحد أبناء حيّنا –وقد ربطتني به علاقة حب سابقة في أيام الدراسة الثانوية_ لاعتقادي أن حلّ مشكلتي يكمن في تفريغ ما أصابني من كبت عاطفي و جنسي على امتداد سنوات طويلة. زادته البطالة و الفراغ تعكرا و سوءا.
كنت مطّلعة على علم النفس التحليلي و أعلم أن الكبت الجنسي قد يؤدي بصاحبه إلى أمراض نفسية عديدة و قد يدفع به حتى إلى الانتحار،

و لكي يكون الفرد متزنا نفسيا يتحتم عليه أن يتشبّع جنسيا.
رفضني صديقي ذلك بدعوى أنني لم أعد أستهويه و نصحني في لهجة ساخرة أن ابحث عن معالم أنوثتي و تضاريسها التي ضيعتها في الدروس و الإمتحانات و "البرسيالات" إن كنت بالفعل ما زلت أنثى. قضت سنوات الدراسة على أنوثتي و نضارتي ثم حلت سنوات البطالة و الإنتظار لتجهز على أدميتي. كنت أنثى، كنت رقيقة، كنت خلوقة، كنت جميلة، كنت حالمة.. فأمسيت ظلا شاحبا لا يصلح لشيء.. لا للحب و لا للولادة.
سيدي، "المتفائل دائما.."، إنني أفكر بجدية في وضع حد لحياتي التافهة هذه. لا قيمة لي فيها و لا مكان لي في المجتمع و لا دور. لا أحد يرغب فيّ، حتى أفراد أسرتي سئموا رؤيتي و أصبحوا يخطبون لي كل من هبّ و دبّ حتى "سقط المتاع" من الناس، المهم أن يتخلصوا مني بأي ثمن.

ساعدني، سيدي، أرجوك و لا تهمل رسالتي. فمهمة الصحافة هي انسانية قبل كل شيء، قد أمدد في حياتي إلى أن أقرأ ردك على رسالتي في "الفصيح" الأسبوع القادم، و إن أنت أهملت رسالتي تكون قد حكمت عليّ بالموت و ما تعودناك ظلوما يا سيدي.
ملاحظة: أرجو أن نتراسل بصفة شخصية. هل هذا ممكن؟
و شكرا.

الإمضاء
المنكسرة
"س.ن. الشمال"

وصلت رسالة هذه القارئة إلى مقر الجريدة قبل موعد صدور "الفصيح" فسُلمت إلى رئيس التحرير رفقة رسائل أخرى موجهة إلى "المتفائل دائما.." رُتبت جميعها حسب تاريخ ورودها على مقر الجريدة و لم يكن أحد من محرّري الجريدة أو من إداريّيها مسموح له بفتح رسالة موجهة إلى

صديقنا "المتفائل دائما.." وضعها السيد منجي على مكتبه ثم رفع سماعة الهاتف و تكلّم:

- "سيدة حسنة.. تعالي أرجوك.."

وضع السماعة منتظرا قدومها، طرقت السيدة حسنة الباب فأذن لها بالدخول. جلست قبالة رئيسها و أنصتت:

-"بريد صديقك جاهز ليرد عليه و لا نريد أن نضيّع الوقت، أريدك أن تهاتفيه لتخبريه أن بريد قرائه اكتمل مثل كل أسبوع حتى يرسل من يتسلمه منك مثل كل مرة. إذهبي إلى الهاتف العمومي المقابل لمقر الجريدة و هاتفيه بسرعة ثم عود لعملك."

- "اتفقنا.."

استأذنت السيدة حسنة من رئيسها المغادرة. مرت على زملائها في قسم الرياضة حيث تركت

حقيبتها. تناولتها بسرعة و قصدت باب الخروج.
بعد لحظات كانت بصدد مكالمة صديقنا،

-"الو..من؟"

-"أنا..أنا حسنة"

- كيف حالك، يا عزيزتي؟"

- "بخير..و أنت؟
و الصغيرة؟"

- "طبعا أنا دائما بخير
و على أحسن حال و البسمة
لا تفارقني.."

-"أنت دائم الإنشراح
و السعادة.."

-"طبعي.. طبعا هذه عُملتي
الدائمة.."

-"دامت سعادتك.."

-"ما الموضوع يا حسنة؟"

-"أردت أن أعلمك باكتمال
بريد قرائك و كذلك نزولا
عند رغبة سي منجي. كما

أحب أن أخبرك أني سأتأخر قليلا.."

- "متى ستعودين.؟"

-"حوالي العاشرة ليلا.."

-"جيّد.."

-"كيف حال الصغيرة.؟"

-"بألف خير.. تلعب و تلهو كعادتها.."

-"حسن.. إلى اللقاء يا أسعد الناس.."

-"إلى اللقاء يا صغيرتي..
لا تنسي أن تجلبي لي معك بريد القراء لأطّلع عليه.."

لا يعرف رئيس التحرير شيئا عن صاحبنا. لا اسمه و لا لقبه و لا عنوانه و لا رقم هاتفه. و لا يعرف عنه أيّ فرد في الجريدة و لو معلومة بسيطة عن هويته، باستثناء السيدة حسنة محرّرة ركن "مرايا الثقافة" التي تعرفه حق المعرفة.

حاول أحد زملائها الفضوليين، السيد "طارق" يوما أن يعرف منها معلومات عن صديقنا فأخبرته أن الأمر لا يعنيه و نهرته بشدّة.
في أحد الأيام دُعيت حسنت لتغطية أحد المعارض الفنية في المدينة و بينما هي تسير في أحد الشوارع المكتظة أُختطفت منها حقيبتها. انتزعها –بقوة و بسرعة- من كتفها شاب على متن دراجة نارية كبيرة و زاغ في لمح البصر عن الأنظار. جرت خلفه، حسنة، لكن دون جدوى فتوجهت من حينها إلى مركز الشرطة بالمكان لتحرير محضر بالواقعة. بعدها واصلت طريقها نحو المعرض.
في احدى الأنهج الضيقة كان زميلها طارق في انتظار صاحب الدراجة الخاطفة، تسلم منه الحقيبة و سلمه مبلغ مائة دينار. صاحب الدراجة يعلم أن "طارق" صحفي و هو زميل " الضحية" صاحبة الحقيبة. و أنه دبّر أمر اختطاف الحقيبة لغاية في نفسه ربما ليظهر بمظهر الشجاع المقدام أمام حسنة لاستمالة قلبها عندما يرجع لها الحقيبة

مدعيا أنه صارع مختطفها و طارده ساعات طويلة على شاكلة الأفلام الهندية.
وضع طارق حقيبة حسنة في حقيبة رياضية كبيرة و قصد منزله و ما أن أغلق باب منزله عليه، شرع في تفتيش الحقيبة بدقة. عثر فيها على مفكرة حسنة، تصفحها ورقة ورقة. لم تكن تحتوي على أكثر من بعض العناوين و أرقام الهاتف الخاصة بأصدقائها و معارفها و أقاربها وفي الصفحة المخصصة للحرف (طاء) قرأ طارق اسمه هو و عنوانه و رقم هاتفه (طارق...)، يعلم أن حسنة خطت هذه المعطيات عنه بطلب منه هو لتتصل به في حال احتاجته في مهمة صحفية عاجلة أو ليجري ريبورتاجا أو لقاء، في حال احتاجته ولم تجده في مقر الجريدة.
أعاد تصفّح المفكرة عدة مرات لكنه لم يعثر على ضالته، اعتقد أنها تحتفظ في مفكرتها بعنوان صديقنا اللغز "المتفائل دائما.." غير أن حسنة خيبت آماله، اذ كانت تعلم مسبقا أن "طارق" سيحاول معرفة سرها الصغير كلفه ذلك ما كلفه.

كيف لا و هو المعروف ب "ميكيافيلي الصحافة" بين زملائه.
استشاط طارق غضبا و حزذ في نفسه أن تهزمه حسنة، بينما هو غارق في محيط من الغيظ رن جرس الهاتف:

-"الو..من؟"
-"أنا حسنة يا صديقي.."
-"أهلا..حســ.."
-"هل أعجبتك حقيبتي.؟"
-"حقيبة..حقيبة ماذا..؟"
-"حقيبتي التي طارت بقدرة قادر، لتحط في منزلك و أنت الآن بصدد نبشها.."
-"أنت تهذين، حسنة.."
-"على أية حال..أنت لك من يخطف الحقائب لحسابك. و أنا لي من يرصد لحسابي. و قد تم رصدك و انتهى الأمر..و أعلم أنك لن تتطلع على سري ما حيّيت.."

ooooooooooooooooo

-"سنرى يا حسنة..إما أنا أو هو في حياتك.."
-"أنت مجنون يا طارق.."
-"مجنون بك..ربّما"
-"هيا أيها المنحرف الصبي، احمل لي الحقيبة إلى رواق الفنون، مسجّلي فيها و أحتاجه في عملي.. طارت نقودك في الهواء يا طارق.."(تضحك بمكر وهي تضع سماعة الهاتف..)

أعلن رئيس التحرير يوما في جريدته أن "المتفائل دائما.." سينقطع عن تحرير ركن الحيارى الشهير بداية من العدد المقبل. و كان هذا الركن في المحدّد خاليا من امضاء صديقنا بل عوضته توقيعة سي منجي بـــ"المبتسم أبدا.." و ليته ترك الركن خاليا أو عوضه بركن جديد أفضل من أن يصبح مصدر تندر و سخرية بين زملائه و بين القراء. وجه إليه صهره و رئيسه في نفس الوقت "سي عبد الستار"

رسالة تحتوي على كلمتين اثنتين: "عد إلى منزلك و نم.." أما صديقه "سي علي" فقد هاتفه مداعبا: "يا سي المنجي، كان من الأجدر بك أن تحافظ على امضاء "المتفائل دائما.." و ترد على رسائل القراء بطريقة تشبه طريقة غريمك. أحسن من تُضحك العالم عليك..(ربي يهديك يا صاحبي..)"
منذ ذلك الحين عرف سي المنجي أن "الفصيح" لا يمكن لها أبدا أن تتخلى عن خدمات صديقنا المحرّر الشهير.
ذلك أن رئيس التحرير اتخذ قرارا في لحظة تسرع. و دون أن يفكر في مطلب "المتفائل دائما.." الذي وصل إلى رئاسة التحرير عن طريق البريد و دون أن يستشير رئيسه في امر هذا المطلب – يقضي بفصل صديقنا و تجميد اشرافه على ركن "الحيارى".
ذهب رئيس التحرير إلى مكتب حسنة ليقول لها: "يا حسنة، أخبري صديقك بأننا قبلنا إضافة صفحة جديدة لركنه وسنزيده مبلغ مائة دينار كما طلب هو و أراد. خذي هذه رسائل القراء، احمليها له

وهذا عقد العمل في شكله الجديد مختوم و معتمد، و قول له أنني مستعد لتلبية جميع رغباته. المهم ألا ينقطع عن تحرير ركنه. لقد سبب لي ذلك احراجا لن انساه ما حيّيت.. و كادت "خبزتي أن تُقطع.."
انسحب من مكتب حسنة و في الرواق المؤدي إلى مكتبه حدث نفسه قائلا: "آه لو أعرف هذا المدعي المغرور، الذي لا أعرف له وجها أو شكلا منذ أشرفت على رئاسة التحرير منذ عشر سنوات خلت. آه لو لم يكن سي عبد الستار يشد آزره لدمرته و فصلته.."

لا يعلم أحد من موظفي الجريدة متى ابتدأ صديقنا العمل فيها. خاصة وأنّ جميعهم حديثو العهد بالعمل في "الفصيح" كل ما يعرفونه عنه أنه هو من وضع لبنة "الفصيح" الأولى و أنه رفيق درب "سي عبد الستار" و انه خيّر المكوث بعيدا عن الأضواء لغاية في نفسه لا يعلم كنهها أحد غيره.

حتى رئيس التحرير الذي يُشرف على إدارة الجريدة منذ عشرة أعوام فقد باشر مهمته بالجريدة و صديقنا متربع على حظوظ ركن "الحيارى" ربما قبل أن يولد "سي المنجي.."

حيّر هذا الرجل الجميع، من هو؟ من أين أقبل؟ لماذا يتخفى عن الناس؟ لماذا لا يكشف عن شخصيته؟ هل تمنعه موانع من التنعّم بالشهرة التي حقّقها على مرّ أكثر من ثلاثة عقود في خدمة القراء. و يشهد له أرشيف الجريدة بذلك.
خلال أحد الأيّام اجتمع السيد منجي بأسرة التحرير و تعمّد أن تكون "حسنة" متغيّبة إذ كلفها هو بمهمة خارجية بإحدى مدن الجنوب لتغطية حدث ثقافي موسمي، قال أنه: "هام و يتوقف عليه مصير صفحتها "مرايا الثقافة". استهل اجتماعه بمرؤوسيه بمقولة شكسبير الشهيرة "أكون أو لا أكون، ذاك هو السؤال.." يا اخواني لقد حيرني هذا الرجل، من هو؟ من هو..؟ أنا على أتم الاستعداد أن أُسند درجة ترقية.. بل ثلاث لمن

يكشف لي عن سرّه منكم. و أوّل من ينجح في مهمته هذه سأعينه رئيس تحرير مساعد-استثنائي.
المهم أريد رأس هذا ..soi-disant "المتفائل دائما.." الذي صيّرني أضحوكة في الأوساط الصحفية.."
(هنا تدخل ساعده الأيمن و الأيسر "طارق" ليقول: " سي منجي، المعذرة، لقد حاولنا و حاولنا وكأنه يقبع تحت الأرض و كأنه في رحم الضباب يرانا و لا نراه. لا يعلم أحد عن أمره شيئا ما عدى حسنة و هي لن تكشف سرمهما حاولنا معها..
و مهما ضايقناها.. حتى ولو سُحلت.. لكني أقترح أن نحاول معها محاولة أخرى و لا نيأس.. مثلا نضايقها في العمل و ندبر لها مكيدة أو ورطة في شغلها فنضطرّها إلى كشف سره أو الاستقالة من الجريدة. و قد رسمت لذلك خطة محكمة.. تنتظر الضوء الأخضر منكم، (عرفي). و أقسم لك هذه المرة أننا سنكشفه و نحرق شهرته بين الناس."
امتلأ صدر سي المنجي ارتياحا مُمنيا النفس بظفر قريب برأس صديقنا:

خص "طارق" بالحديث، قائلا: "أحسنت يا داهية.. مستقبلك سيكو مشرقا و مشعا في هذه المهنة.. و هذا أكيد جدا.."
و كان لمؤتمر المؤامرة ما أراد و ما رسم، غير أن حسنة خيّرت الاستقالة عن كشف ستر صديقنا و أستاذها و ولي نعمتها.
خرجت من مقر الجريدة يائسة، بائسة، باكية و هامت على وجهها في شوارع المدينة مسترجعة ما حدث لها و كيف أن ضمير الناس مات و قُبر و سُفك دم الحق في هذه الدنيا. أغمي عليها فحُملت إلى مستشفى قريب من وسط المدينة. بعد أن تلقت الإسعافات الضرورية نقلتها الممرضة إلى غرفة بالمستشفى حيث ستمكث تحت مراقبة الطبيب حتى تستقر حالتها. خاطبتها الممرضة بلطف:

- "سيدتي، هل تحبين أن نتصل بأحد من أفراد أسرتك لنخبره عن حالك.؟"

- "شكرا، أختي، إذا سمحت ناوليني الهاتف سأقوم بذلك بنفسي، أنا بخير الآن.."

مكنت الممرضة حسنة من جهاز الهاتف ثم غادرت الغرفة بلطف:

- "آلو.."
- "آلو.. نعم"
- "أنا حسنة.."
- "مرحبا.. لماذا يبدو صوتك متغيرا و متقطعا؟.. هل تبكين؟ هل هناك مشكلة..؟"
- "لا.. لا، أنا بخير.."
- "لا تحاولي مراوغتي.. أكيد هناك مشكلة.. و مشكلة كبيرة.."
- "لا، أنا بخير، صدقني.. أحس فقط ببعض الإرهاق

الذي أصابني من فرط العمل.. ربّما."

- "إرهاق.؟ عن أي إرهاق تتحدثين..؟ لا تكذبي يا صغيرتي.."

تُجهش حسنة ببكاء شديد جراء إحساس مرير بالقهر انتابها بقوة..

- "ألو.. ألو حسنة.. لقد أخبرني المدير العام بكل ما حصل.."
- "كل ما حصل.. المدير العام.."
- "نعم (عرفنا) "سي عبد الستار" و (عرف) الخبيث منجي. هو صاحب أكثر من أربع صحف و طنية و مجلة دولية شهيرة.."
- "أنا لا أعرفه.."

- " هو يعرفك.. و أنا أعرفه و هو رفيق دربي و صديقي منذ عشرات السنين.."
- "و كيف علم بما حدث..؟"
- "له عيون و آذان في الجريدة مبثوثة في كل مكان فيها. و لا يعرفها أي فرد فيها. و قد أعلمني بالموضوع تفصيليا. ساخرا من حمق منجي و خيّرني - على سبيل الانتقام لك- بين عزله أو توبيخه و "تبزيع قهوتو في الجريدة.."، فاستسمحته أن يعفو عنه. إذ لا يمكننا العيش في الجريدة دون مناوشات و مؤامرات "سي المنجي" و حاشيته الحمقاء. فيكف يُعقل أن

يُلصق بك أنت تهمة الارتشاء و الجميع يعلم أنك مثال الصحفية النزيهة."

- "و بخصوصي..أنا..؟"
- "أنت..ماذا..؟"
- "أقصد بخصوص قرار عزلي من الجريدة.."
- "من الغد، ستجدين في انتظارك مكافأة و ترقية إلى خطة "رئيس قسم الشؤون الاجتماعية و الثقافية" في انتظارك. و فوق كل هذا رسالة اعتذار من "سي المنجي" بشحمه و لحمه.."
- "أخبرني –بالله عليك– كيف حصل هذا.؟"
- "يا صغيرتي.. الحكاية طويلة.. وساعة نومي قد

ooooooooooooooooo

أزفت.. أرجو لك الشفاء العاجل.. إلى لقاء قريب.."

- "إلى اللقاء.."

يبلغ صديقنا "المتفائل دائما.." أكثر من ستين سنة من العمر. أمضى شطرها في خدمة الصحافة و القراء. ابتدأ حياته الصحفية رفقة السيد عبد الستار لحظة أنشأ هذا الأخير خلال الستينات جريدة أسبوعية اجتماعية-هزلية-ساخرة تصدر بالعامية. فنشر اعلانا في أحد أعدادها مفاده رغبة الصحيفة في انتداب محرّرين يحسنون اللغة العربية قولا و كتابة و لهم تجربة سابقة مدعمة في مجال الصحافة و الأدب.. و لا تهم الشهادات.. المهم التجربة، الموهبة و الحس الصحفي التحليلي..

أرسل صديقنا مطلبا إلى الجريدة "أخبار الديار" آنذاك التي يشرف عليها "سي عبد الستار". تمت الموافقة على مطلبه بمعية خمسة مطالب أخرى. فدُعي المقبولون للعمل في جريدة أدبية ثقافية فنية

حديثة العهد أسسها "سي عبد الستار"، هي الأخرى. أمضى صديقنا خمس سنوات في هذه الصحيفة الأسبوعية التي كانت تسمى "أخبار الديار.." حقّق فيها نجاحا باهرا و شهرة كبيرة فتمت دعوته من قبل المدير العام -الذي أصبح صديقا حميما له- للإشراف على ركن "قلوب في دوامة.." في جريدة "الفصيح" المستحدثة، لم يمض أكثر من سنة فيها حتى اختفى تماما عن الساحة و اكتفى بإرسال مقالاته و كتاباته و تحليلاته إلى مقر الجريدة عن طريق البريد. كان عمره لحظتذاك يربو عن الثلاثين (خريفا.)
أما أصدقاؤه الذين اشتغلوا معه قبل اختفائه فقد فرقتهم دروب الحياة و لم يمكث منهم على الساحة الإعلامية غير "سي عبد الستار"، المدير العام لـ: "أخبار الديّار" و "أخبار الثقافة" و "الفصيح" و "إفريقيات" الصادرة باللغة الفرنسية من باريس.

تداول على رئاسة تحرير "الفصيح" ثلاثة رؤساء تحرير كان آخرهم "سي منجي" الذي هو صهر

"سي عبد الستار" و ابن أخت زوجته، السيدة "وسيلة"-مدرسة تعليم ثانوي-. كان منجي يعلم أن صهره يعرف حقيقة "المتفائل دائما.." عن ظهر قلب، غير أنه فشل في الوصول إلى أية معلومات حتى عن طريق زوجته، السيدة "سرور"، ابنة "سي عبد الستار" الكبرى، لأنها بكل بساطة لا تعرف هي بدورها أية معلومة عن صديقنا.
كان سر صديقنا أبعد من أن يصل إليه أحد، كيف لا و قد إأتمن عليه "سي عبد الستار" الذي كان صديقنا يسميه "بئر الصحافة".
أما بخصوص رئيسي التحرير السابقين "للفصيح"، كان الأول يدعى "الحاج أحمد" و هو أحد أقارب "سي عبد الستار"، بقي في رئاسة التحرير حوالي عشرة أعوام ثم توفي على اثر حادث مرور. هو الآخر لم يعرف صديقنا و لم يكن يهتم بالأمر. فلم يكن يهتم "بمن عضّ منْ.؟" (الكلب عضّ صاحبه، أم السيّد عضّ كلبه..؟) كان كل همّه في الحياة: الوضوء و الصلاة. يدخل مقر الجريدة متوضئا مصليا و يغادرها متوضئا

مصليا. فلا يطيل البقاء في مكتبه أكثر من بعض الدقائق. لم تكن للفصيح آنذاك شهرة و لا صيتا فكانت مبيعات الجريدة ألف نسخة و لم تكن أسرة الجريدة تتجاوز ثلاثة أو أربعة أفراد بمن فيهم "صاحبنا" الذي كان وقتها معتكفا في مكان ما.
بعد وفاة "الحاج أحمد" خلفه شقيق "سي عبد الستار" "الدكتور مصطفى" و قد عمّر هو الآخر عشر سنوات نُقل على اثرها لرئاسة تحرير "افريقيات" بباريس.
"سي مصطفى" هو شقيق "سي عبد الستار" الوحيد، متحصل على دكتوراه فرنسية في علوم الاتصال، كان رجلا فرنكوفونيا حتى النخاع فلم يكن يهتم إلا بما هو إنتاج باللغة الفرنسية، و لم تكن "الفصيح" بالنسبة إليه أكثر من "محطة صحفية و اتصالية" (كما كان يحلو له أن يقول مبتسما..)
لم يكن يهتم لا بصديقنا و لا بركنه و لا بقراء الجريدة و لا بالعربية أو أهلها. كان يقضي معظم وقته في تأليف كتابه العلمي الأكاديمي حول

"الاتصال و الانفصال في العالم الفتي.." باللغة الفرنسية، كان يوكل مهمة مراجعة المقالات و تأشيرها إلى رئيس قسم "الشؤون السياسية".
بعد "سي مصطفى" حلّ ركب "سي منجي" الذي كان محررا مبتدئا على عهد سلفه "سي مصطفى" و كان ولا يزال وصوليّا تعتريه عقدة العظمة و لا يدخر جهدا في الوصول إلى هدفه الأوّل
و الأخير، كشف سرّ صاحبنا و نشر غسيله أمام القراء، اذ كان يظن أن وراء تخفي صاحبنا عن الأعين سر هائل و من مصلحته تعريته. كما لا يخفى على أحد رغبة "المنجي" الظاهرة في وراثة الصحف الأربع واحالة صهره المدير العام على التقاعد.
"سي عبد الستار" يعلم جيدا نوايا صهره و يعلم أنه وصولي نفعي و مع ذلك كان يحترمه لأنه على حدّ قوله: "ذكي، طموح و هما ميزتان لا يتوفر عليهما إلا الصحفي "الناجح"، علاوة على أنه زوج ابنته.

امضى صاحبنا حوالي ثلاثين سنة في العتمة خلف ستار من الغموض لا يعرف مكنونه غير صديقه "سي عبد الستار" و تلميذته "حسنة".

انضمت "حسنة" إلى أسرة تحرير "الفصيح" بعد أن تدخل لها صديقنا عند "سي عبد الستار"، قبل ذلك كانت من قراء "الفصيح" الأوفياء فلم يكن يفوتها عدد على مدار السنة، منذ عهد شبابها و هي من المعجبات بركن الحيارى الذي يشرف عليه "المتفائل دائما.."
عندما كانت حسنة طالبة جامعية مرت عليها مشكلة عائلية خانقة هزتها و كادت تعصف بحياتها. فكتبت رسالة لصديقنا على عنوان "الفصيح" ليساعدها على إيجاد حلّ لمشكلتها كما تعوّد مع جميع القراء الحيارى التائهين الذين يطلبون مساعدته. و كانت ردود صديقنا على رسائل القراء تنشر تباعا على أعمدة "الفصيح"، غير أن رده على رسالة "حسنة" لم يعجبها و لم يقنعها، فكتبت إليه رسالة ثانية تقول فيها:

ooooooooooooooooo

"إلى السيّد "المتفائل دائما.." المشرف على ركن "قلوب في دوامة.."، بعد التحية و الاحترام، أعلمكم أنّني قرأت في هذا العدد، الذي هو بين يديّ، ردّكم على رسالتي. قلتم: "يا آنستي، ح. م.، إن كانت هذه الأزمة التي مرّت بأسرتك جعلتكم فقراء. فالفقر ممكن و هو ليس عيب، و إن كانت هذه الأزمة جعلتك تعيدين السنة و ترسبين، فأنت أخفقت سنة و لن ينته العالم و ستنجحين السنة المقبلة. و إن كانت هذه الأزمة تسببت في هجرة أخيك، فالهجرة ظاهرة إجتماعية-إقتصادية عادية و قد تصنع الرجال.."

قلتم كذلك: "يا آنستي، هذه المشاكل التي حدثتني عنها في رسائلك هي أزمات بسيطة، غير قاتلة، و تستطيعين تجاوزها بقليل من الحكمة و العزم، و ذلك بإعادة المياه إلى مجاريها بين والديك المتخاصمين و حث أبيك على التراجع عن فكرة الطلاق و هجر أسرته (...) فهل يمكن أن تتوقف الحياة بسبب هذه المشاكل العارضة، المتكررة تقريبا في جميع أسرنا (...) و التي حلولها في

المتناول. لا أعتقد أن فتاة عاقلة، مثقفة و متعلمة مثلك تحدث نفسها "بالانتحار" بسبب هذا. "
قلتم أيضا في موضع آخر من الرسالة: "راجعي نفسك، يا آنستي، الحياة جميلة و تستأهل أن نحياها و ننعم بها (...)"
يبدو، سيدي "المتفائل دائما.." أنك متفائل أكثر من المعقول و أن تفاؤلك أمسى خيالا و ضربا من المثاليات، فإن كان الفقر ليس بمشكل و إن كان الطلاق ليس بمشكل و إن كان تشتت أسرة ليس بمشكل و إن كان اليأس ليس بمشكل و إن كان شبح التشرد ليس بمشكل و إن كان الفشل ليس بمشكل.. فما المشكل، إذن، يا سيدي..؟ تنصحني بالتفاؤل، كيف لي أن أتفاءل و الفشل أمامي و ورائي و طريقي مسدودة. تنصحني بالصبر، من أين آت به..؟
أنصحك، سيدي "المتفائل دائما.." بأن تسمي نفسك "المقيم في البرج العالي" أو "الضاحك على ذقون الحيارى.." أنت تضحك علينا و تصف لنا وصفات وهمية، و إنني اقسم أنك لم تجرب الفقر

و لا الحرمان و لا اليأس و لا الفشل، و أقسم أنك شخص ميسور الحال لا تعرف معنى هذه الكلمات. فكيف يحس أمثالك بمشاكل أمثالي..؟
أنصحك، سيدي "المتفائل دائما.."، و أنت الذي تعوّد على توجيه النصح من برجه العالي، بتجربة الواقع و صفعات الحياة و خشونة الدنيا و بعدها أنصح العباد.."
(مع الشكر، ح. م. (الوسط)
وصلت رسالة حسنة إلى صديقنا. قرأها. تأثر بها، فأمر بنشرها في الجريدة كاملة، دون قصّ، و علّق عليها بكلمتين: "أشكر الله يا آنسة ح. م. فعلى الأقل حالك أحسن من حالي بألف مرّة.."
قرأت حسنة تعليق صديقنا على رسالتها في "الفصيح" و لم تستطع فكّ رموز الجملة المقتضبة تلك بل فهمتها على أساس أنها كلمات تهكّم و سخرية منها، فحرّرت رسالة جديدة إلى صديقنا قرأها دون أن يرد عليها. و تكرّرت رسائلها دون أن يوليها المحرّر عناية. كانت جميعها تصب في غرض واحد: نقد "المتفائل دائما.." و السخرية

من بورجوازيته الساذجة التي تصوّرت أنه يعيشها. فحسنة آمنت أنه بورجوازي يقبع في برج عال متعال عن أرض الواقع و أنه يدّعي التواضع و الإنصات لمشاكل القراء.
لم تنقطع حسنة عن مراسلة صديقنا على امتداد أكثر من أربعة أعوام و قد انفرجت خلالها أزماتها و مشاكلها. فكانت تخبره عن أحوالها و أحوال أسرتها شاكرة له نصائحه التي تفطنت لمغزاها مع مرور الزمن و التي ساعدتها على انقاذ أسرتها بعد أن تآلفت القلوب. فتخرجت هي من كليّتها و استقرت أسباب الحياة لأخيها في المهجر. فاستحال بؤسها أملا و حزنها فرحا.
كانت رسائل حسنة مصدر سرور كبير له إذ كان ينتظر حلولها بفارغ الصبر عندما يسلمها إليه "سي عبد الستار" من أسبوع إلى آخر.
كانت جميع رسائلها تحمل في هامش ورقة التحرير الجملة التالية: "سيدي، المتفائل دائما.." أرجوك، أن تقول لي "ماذا كنت تقصد بجملتك

(حالك أحسن من حالي بألف مرة..) أرجوك، أريد تفسيرا لهذه الجملة-اللّغز-" (حسنة.)
كان صاحبنا يعرف عن حسنة كلّ تفاصيل حياتها، تقريبا. فقد عرّفته بنفسها بصورة ضافية عن طريق رسائلها و صورها –رفقة أفراد عائلتها و أصدقائها–التي كانت ترسلها إليه تباعا.
أما هي فلم تكن تعرف عنه شيئا أكثر من اسمه الصحفي المستعار أو صوته إذ كان يهاتفها في منزلها من وقت إلى آخر. لم يفصح عن حقيقته لحسنة و تركها في حيرتها قائلا في نفسه: "في اللحظة المناسبة سأخبرها بحقيقتي.. قريبا."

أُعجب صديقنا كثيرا بثقافة حسنة و سعة اطلاعها على جميع الميادين و العلوم تقريبا و كثافة معلوماتها في علوم الاتصال و الصحافة خاصة و اعتبرها ابنة له فكان يكتب إليها عديد الرسائل على عنوانها بمدينتها بوسط البلاد ناصحا مرشدا فاعتبرته هي بدورها أبا روحيا لها. فكانت تطلعها على أدق تفاصيل حياتها و علاقاتها الاجتماعية

و تحكي عن لحظات سرورها و تكدّرها بكل عفوية و تلقائية.
و قد إليها يقول: "إلى ابنتي العنيدة حسنة، اشتقت كثيرا إلى مشاكساتك التعبيريّة العذبة بعد أن انقطعت عن مراسلتي.. ما خطبك، ابنتي.؟ هل تمرين بمشكلة ما.؟ أخبريني عاجلا عن كل ما يعتريك. لن أطمئن عليك حتى يصلني مكتوبك، حاولت مهاتفتك و لم أفلح.. إلى اللقاء..(أبوك "المتفائل دائما.."
قرأت حسنة الرسالة فتأكدت أن صديقنا أحسّ بتكدرها و أنه يروم مساعدها، فهمت يومها بكتابة رسالة إليه تخبره فيها عن كل ما ينغّص حياتها، غير أن بعض الإرهاق اعتراها و جعلها تؤجل التحرير إلى الغد.
عند مساء ذلك اليوم رنّ جرس الهاتف في غرفة الجلوس حيث كانت حسنة بصدد مشاهدة جهاز التلفزيون، رفعت حسنة السماعة:

- "آلو.. نعم."

- "آلو.. أنا أبوك "المتفائل دائما.."
- "أهلا و مرحبا.. كم أنا مسرورة بسماع صوتك.. بمجرد سماعه طار عني الإرهاق.."
- "ما بك يا ابنتي.؟.. أنا قلق عليك.. لا رسائل و لا مكالمات.. ما الأمر..؟

أجهشت حسنة بالبكاء و توقفت عن مكالمة صديقنا.

- "آلو.. حسنة.. حسنة.."
- "..."
- .. ما بك يا ابنتي.؟"

بعد لحظات من الصمت استعادت حسنة و عيها و ردّت عليه:

- "أرجو المعذرة.. في الحقيقة إنني متأزمة مهمومة الخاطر بسبب

الانتظار.. انتظار التعيين.. الفراغ يكاد يقتلني و انا قابعة في مكاني دون أن أستطيع تغيّير وضعيّتي، فشلت في ان أتحرك إلى الأمام بعد تخرجي ولو قيد أنملة."

- "هذا فقط ما يرهقك..؟"
- "وهل هذا بسيط.. يا "بابا"..؟"
- "اسمعي، يا حسنة، غدا صباحا أريدك أن تكوني في مقر "الفصيح" على الساعة التاسعة صباحا لمقابلة رئيس التحرير "سي منجي" الذي سيسلمك أوراق تعيينك في الجريدة كمحرّرة متربصة في ركن الثقافة. أنت من المساهمين

في انشاء هذا الركن فضلا عن أنك متحصّلة على أستاذية في اللّغة و الآداب العربية.. لا تنسي أن تجلبي معك ملفا كاملا.. مبروك.."

- "لا أكاد أصدق.. لا أكاد أصدق.. هل سأشتغل أخيرا مثل بقية خلق ربي.. هذه معجزة "يا بابا"."

و في غمرة فرحها طبعت على سماعة الهاتف قبلات متتالية كان لها دويّ جذاب و حنون في أذن صديقنا.

- "لا شكر على واجب، بنيتي.. أنت تستحقين هذا العمل عن جدارة و أنا من رشحتك للعمل بهذه الخطة اعتمادً على المراسلات التي كنت أتلقاها منك

و التي تعكس مستوى محترما في حذق اللغة العربية نحوا و تركيبا و تعبيرا و بلاغة. فضلا عن أن الجريدة تنوي منذ فترة انتداب صحفيّين تتوفر فيهم الشروط نفسها التي تتوفرين أنت عليها.."

- "غدا.. غدا.. يعني غدا..؟"

يضحك صاحبنا..

- "نعم غدا.. هنيئا لك.. إلى اللقاء الآن.. سأنتظرك غدا.."

في اليوم الموعود حلّت حسنة بالعاصمة قادمة من مسقط راسها و في تمام الساعة التاسعة صباحا كانت واقفة امام مكتب "سي منجي"

- "أنت إذن حسنة.. الآنسة حسنة التي تدخّل لها "سي المتفائل.." شخصيا.."

ooooooooooooooooo

- "نعم يا أستاذ.."

كان منجي في قرارة نفسه يلعن حسنة هذه و أهلها و يلعن صاحبنا و تمنى لو يستطيع طرد هذه الفتاة القادمة من "زون الظل" (كما سيسميها المنجي لاحقا) و يصفعها صفعة يسمعها دويّها "المتفائل.." في مخبئه، و برغم ما يعتمل في قرارة نفسه من كره لهذه الفتاة "النحيفة" التي توسط لها غريمه عند "سي عبد الستار" (مولى المول)، فقد تمالك نفسه و ابتسم لها قائلا:

- "هنيئا لك يا آنسة، هذه أوراق تعيينك.. أرجو لك التوفيق في مهمتك، لا تنسي أنك ستبقين تحت التمرين و التربص لمدة ليست بالهينة.. فاجتهدي في عملك.. أرجو لك التوفيق في مهنة المتاعب (الصحافة..)

- "أرجو أن أكون عند حسن الظن، يا أستاذ.."
- "يمكن أن تشرعي من الآن في عملك – طبعا بعد إتمام إجراءات انتدابك الإدارية من قبيل تعمير بعض المطبوعات
و تعريفها – سيمرنك "سي طارق" زميلنا على العمل الصحفي تدريجيا، فهو صحفي قديم و قد أوكلت له مهمة تدريبك و الإشراف عليك لمدة سنة كاملة، قبل أن يحين موعد ترسيمك، طبعا بعد النجاح في التربّص الإجباري بالجريدة.

رفع "سي منجي" سماعة الهاتف و حادث "طارق" موصيا إياه بمساعدة زميلته الجديدة

ooooooooooooooooo

و حسن تدريبها.
همت حسنة بالخروج غير أنها عادت أدراجها و خاطبت رئيسها الجديد بصوت محتشم:

- "عفوا سي منجي.."
- "نعم.. تفضلي.."
- "أريد أن أسألك.."
- "نعم.. تفضلي.."
- "بخصوص.. بخصوص.. المتـــــ.."
- "آه.. بخصوص النجم الساطع و الجوهرة الفريدة و أعجوبة الدنيا الثامنة، سي المتفائل دائما.."
- "نعم يا أستاذ.. اذا سمحت لي.."
- "اسمعيني جيدا.. اذا أردت الارتزاق في هذه الجريدة فلا تسألي كثيرا.."

ooooooooooooooooo

- "اسأل عنه.. أردت أن أشكره.. و التعرف عليه مباشرة"
- "تريدين معرفة "سي المتفائل.." و أنت صحفية منذ ربع ساعة.. إنني أشتغل في هذا المكان منذ سنوات طويلة و لا أعرف شيئا عنه..."
- "عفوا سيّدي.. أردت فقط أن..."

قطع "سي منجي" هذا الحوار بإشارة من يده المراد منها: "هيا أغربي عن وجهي.."
خرجت حسنة من مكتب رئيسها بعد حوالي نصف الساعة و رأسها يعج بعشرات الأسئلة الحائرة. هل يعقل ألا يعرف رئيس تحرير جريدة ما صحفيّا يشتغل تحت اشرافه؟ أقنعت نفسها و هي متجهة إلى قاعة التحرير – التي دلّها عليها أحد

المحرّرين – أن "سي منجي يشاكسها لا سيّما و قد حذرها صديقنا من خبثه و لؤمه.
مكثت حسنة ذلك اليوم و هي تنتظر قدوم صديقنا لكن دون جدوى.
أمضت ليلتها في احدى النزل القريبة من مقر الجريدة و من الصباح كانت تجلس إلى مكتبها الجديد. رن جرس المكتب الصغير.

- "آلو.."
- "آلو.. صغيرتي حسنة.. انا "بابا المتفائل دائما.."
- "أهلا.. كيف حال.. انا سعيدة بسماع صوتك.. لقد انتظرتك بالأمس و اليوم كثيرا و لم تأت.."
- "هل تسلمت عملك الجديد.. هل أعجبك.."
- "نعم.. نعم شرعت في العمل.. لكن لماذا لم أجدك.. و لم أعثر على

مكتبك في الجريدة.. سألت عنك الجميع هنا فأخبروني بعدم وجودك مطلقا في الجريدة و أنه لا مكتب لك هنا..

- "ها أنا بجانبك يا حسنة.."
- "لا تتعبي نفسك بالسؤال عني.. وعن مكتبي.."
- "سأهاتفك كلما استدعى الأمر.."
- "لماذا لا استطيع زيارتك في مكتبك.."
- "فلننسى الآن هذا امر.. افتحي الآن درج مكتبك و ستجدين عقد شقة صغيرة في إحدى الأحياء القريبة من الجريدةن لمدة سنة كاملة قابلة للتجديد، الشقة مؤثثة.. عند منتصف النهار

سيأتيك من يوصلك إلى مستقرك الجديد.. مبروك يا بنيتي.."

عجزت حسنة عن مواصلة الكلام. الشكر لا يكفي هذا الرجل و لتا يوفيه حقه. كيف سترد له هذا الجميل. شغّلها، سكّنها و حباها برعايته. لماذا يفعل معها كل هذا..؟

هل يفعل معها الخير للخير؟ أم أنه يضمر لها أمرا ما هي لا تعلمه..؟

بقيت حسنة فاغرة الفم و سماعة الهاتف تتدلى في يدها اليمنى. طرحت على نفسها عشرات الأسئلة و راحت تحدث نفسها في نفسها: "لابدّ أنه يرغب في ثمن لهذا الجميل الكبير الذي قدمه لي "ما فماش قطوس يتصيّد لربي.." ما هو الثمن الذي يريده.؟ كل شيء بثمنه في هذه الدنيا.. هذا مؤكد "خوذ و أعطي.." هذه هي عملة العصر.. طبعا هو مثل كلّ الرجال لن يطلب من أنثى اغرقها بحسناته غير جسدها و عفتها.."

غير أن صوتا آخر أكثر هدوء و اتزان اخترق هواجسها و راح يحدثها: "لا تظلمي الرجل و هو الذي يناديك بـــ"بنيتي" و يؤكد لك دائما أنه في مقام والدك. و على اية حال عد المبادرة تصدر عنه أولا و ستعلمين إن آجلا أو عاجلا مراميه.." اطمأنت حسنة لهذا التفسير الحكيم، قائلة لنفسها في صوت خافت: "الأيام كفيلة بكشف ما خفي.." عادت إلى سماعة الهاتف معتقدة أن صاحبنا لا يزال على الطرف الاخر من الخط.

- "آلو.. آلو.."

- "..."

غير أن مهاتفها غادر الخط لأن حوارها مع نفسها طال و عزلها عن حوارها معه.

مرت الأيام هادئة في حياة حسنة الصحفية و أصبحت محترفة بفضل توجيهات صديقنا من حين إلى آخر إذ لم يكن يمر يوما دون أن يهاتفها و يطمئن عليها و على عملها. ثم لا ننسى فضل زميلها "طارق" الذي أحسن تدريبها و أجاد.

ooooooooooooooooo

فأحبها جميع زملائها و احترمها رؤساؤها فأطلقوا عليها اسم "صحابة الجلالة" لما عرفت به من اتقان لمهنتها و قد ارتفعت بفصل صفحتها الثقافية مبيعات "الفصيح" فضلا عن صفحة صديقنا "قلوب في دوامة.." الشهيرة.
و لم تحاول الآنسة حسنة أن تعرف عن صديقنا أكثر ممّا عرفت عنه، فهي مقتنعة أنه عظيم، زكي الأصل لا مثيل له و أنه سيأتي يوم و يخبرها هو بنفسه بكل صغيرة و كبيرة عن حياته الغامضة. فما عليها سوى الانتظار لا سيما أنه وعدها بأنه سيكشف لها عن حقيقته في الوقت المناسب.

كانت ردود صديقنا على بريد قرائه تصل إلى مقر الجريدة عن طريف "سي عبد الستار" الذي تصله إلى منزله بواسطة "عم ساسي"، الذي يشتغل في منزل صديقنا. و منذ تعلق صاحبنا بحسنة و اطمأن إليها آلاها جميع الاهتمام فأصبح يرسل إليها هذه الردود مباشرة إلى شقتها عن طريق "عم ساسي".

ooooooooooooooooo

و بذلك أعفى "سي عبد الستار" من عبئ، و كم فرحت حسنة بهذا التشريف و رات فيها خطوة كبيرة يقطعها صديقنا في الوعد الذي قطعه على نفسه بالكشف عن حقيقته.
تسلمت حسنة الردود من العجوز و قبل ن يغادر سلمها رسالة على حدة مؤكدا أنها تخصها مرسلة من "المتفائل دائما.." شكرته و أسرعت إلى فتحها فقرأت التالي:
"ابنتي، حسنة آزفت ساعة الحقيقة، يمكن لك الآن أن تطلعي على سرّي و هذا هو العنوان (...)
"عمك ساسي" سيصحبك هذا المساء إلى منزلي على الساعة الثامنة. كوني في الانتظار. أبوك "المتفائل دائما.."
فرحت حسنة بقرار صديقنا هذا و بادرت إلى تمزيق تلك الرسالة (مثلما طلب منها صديقنا ذلك في نفس هذه الرسالة.) أخيرا ستتمكن من فك رموز لغز الرجل الذي حيّرها سنوات طويلة
و حيّر من قبلها أسرة الجريدة كافة و القراء جميعا. دون أن يتمكّن أحد من كشفه،

حتى "سي منجي" صاحب النفوذ و السلطة أخفق في إماطة اللثام عنه، أحست نفسها قوية أقوى حتى من "سي منجي"، حملت ردود صديقنا إلى قسم التصنيف و الرقن، سلمتها إلى العاملين هناك و غادرت الجريدة.

آزف الموعد. حلّ "عم ساسي" و اصطحب معه حسنة إلى منزل صديقنا على متن سيارة "تاكسي"، بعد حوالي نصف ساعة من انطلاقهما كانت السيارة واقفة أمام باب بناية متواضعة قديمة ذات طابقين صُممت على الطراز الإيطالي بمنطقة ريفية بجنوب العاصمة. دفع "عم ساسي" أجرة التاكسي و صرف صاحبها. ثم فتح الباب بمفتاح كبير سحبه من جيب سترته. استدعى حسنة للدخول مرحبا:

- "تفضلي، تفضلي.."
- "شكرا لك يا عمّي.."
- "سي محمّد، أوصاني بك خيرا.."

- "شكرا له و لك، "عم ساسي"

ولج الاثنان باب هذا المنزل العتيق المحاط بأشجار الزيتون و المسيّج بجدار قصير بنيّ مزيّن بنبات متسلق غير مرتّب.

دعى "عم ساسي" حسنة إلى صعود المدارج الموصلة إلى الطابق الأوّل حيث يوجد صاحبنا.

كانت حسنة تتبع العجوز في ذهول و حيرة. لماذا لم يستقبلها مضيفها بنفسه كما جرت العادة بين الناس.؟ لماذا يخيّم على منزله هذا الهدوء الغريب..؟ و ما هو مصدر هذه الرائحة "الرطبة" التي تنبعث منه و كأنها في منزل "الكونت دراكولا".. ثم لماذا يسكن في هذا المكان البعيد النائي..؟

التفت حسنة متوجسة نحو "عم ساسي" الذي يسير وراءها:

- "اين هو "سي محمّد"..؟
- "في غرفته..! "

ماذا..؟ في غرفته.. لماذا يريد الرجل استقبالها في غرفته، في غرفة نومه!؟ ترددت الفتاة قليلا في صعود المدارج و هي تحدث نفسها في حيرة، رامت بشدة العودة من حيث أتت و همت في حركة لاشعورية بالنزول غير أن العجوز كان يحثها على مواصلة الطريق بلطف:

- "هيا يا بنيتي، "سي محمّد" ينتظرنا و هو يعلم أنك وصلت منذ فترة.."

يعلم أنها وصلت..! هل كان يراقبها، يراقب دخولهما من شباك غرفته في هذا المنزل المخيف؟! كبتت حسنة جماح هواجسها و تقدمت من غرفة صديقنا. همت بطرق الباب و إذا بها تلتفت إلى الرجل العجوز معتقدة أنه هو من سيطرق الباب للاستئذان في دخول ضيفته لكنها لم تجده بجانبها. ربما يكون قد دخل إحدى الغرف الأخرى الكثيرة. تردّدت في طرق الباب و بقيت

واقفة متسمرة في مكانها أمام باب الغرفة لا تبرحه.
فجأة سمعت صوتا –صوت رجل كهل- يدعوها للدخول، مرحبا:

- "تفضلي بالدخول، حسنة.."

ثم انفتح الباب من تلقاء نفسه..
تملك هلع شديد الفتاة و لم تجب. عاد الصوت ثانية:

- "أدخلي، يا حسنة.. لا تترددي.. أرجوك.."

كان هذا الصوت يصل إلى مسامعها من مكان ما في الحائط. أصر صوته عليها في الدخول و كان لا مهرب لها من ذلك فدخلت:
كانت اضاءة الغرفة خافتة، بحثت الفتاة عن مصدر الصوت فما استطاعت العثور عليه و هي تظن أن صاحبه ربما يكون جالسا على أريكة كبيرة تحتويه فلا يُرى منه شيئا مثلما يظهر في أشرطة الرعب السنيمائية التي تعشقها حسنة:

- "سي محمّد.. أين أنت..؟"
- " هنا.. أنا هنا يا ابنتي وراء هذا الستار المحاذي للنافذة التي تقابلك مباشرة."

كان الصوت هذه المرة طبيعيا يصدر مباشرة عن شخص مستلق على سرير النوم. و قد كان في مستهل دخول حسنة الغرفة صادرا عن مضخم صوت صغير مثبت في سطح رواق الطابق الأوّل.

ألا يكفيه أن يستقبل ضيفته في غرفة نومه حتى يدعوها إليه و هو مستلق على سريره..

لماذا يفعل معها هذا. !؟ هل جاء وقت رد الجميل الآن يا حسنة.. عليك ايفاءه أجره، إنه يطلبه الآن.. حان وقت "خلاص الفاتورة"، يا حسنة.. !؟

- "المعذرة، "عم محمّد" أنا في انتظارك هنا، حتى تنهض من سريرك.. !؟"

- "تعالي يا بنيتي.. لا تخافي.. !

تقدمت الفتاة نحوه في خطى متثاقلة، رفعت الستارة ببطئ مطأطأة الرأس و هي تظن أنها ستراه بزي آدم مستلق على سريره (مثلا. !) لماذا إذن اصّر على دعوتها إلى مخدعه إن لم يكن يرغب في مراودتها عن نفسها و يظهر أنه بيّت للأمر منذ مدة.. !

- "أهلا وسهلا يا حسنة.. مرحبا.."

ببطئ شديد رفعت الفتاة رأسها دون أن تنبس بكلمة، صرخت، شهقت ثم تقهقرت إلى الوراء لتسقط مغشية عليها. هرع إليها "عم ساسي" – الذي كان يقف خارج الغرفة – بعد أن سمع صراخها.

- "أُسكب عليها بعض العطر لتستفيق يا "ساسي خوي.."

استعادت الفتاة وعيها فساعدها العجوز على النهوض و أجلسها على أريكة مقابلة لسرير صاحبنا. الذي خاطبها برفق:

- "ما بك، يا بنيتي..؟"

انفجرت حسنة باكية و هي تمسك رأسها بكلتا يديها.

- "هل أفزعتك..؟"

لم تستطع أن تنطق ولو بحرف واحد غصّت بالكلام و كأنها فقدت النطق فجأة.

- "أرجوك، يا ساسي، اجلب لها كأسا من عصير الليمون و قهوة لي.. سأشربها هذه المرّة من يد بنيتي حسنة.."

غاب "العم ساسي" لحظة ثم عاد و هو يحمل ما طُلب منه، و ضع "الصينيّة" أمام حسنة فوق طاولة صغيرة و انصرف.

- "هيا يا بنيتي، اشربي عصيرك، لماذا كل هذا الجزع. ‘نها حكمة الله و قضائه. !

أحست الفتاة ببعض الهدوء، فتكلمت بصوت متقطع باك..

- "ماذا حلّ بك..؟ يا إلهي.. !"
- "قضاء الله، يا حسنة.. حكمة ربي.."
- "أعذرني.. أعذرني.."

الآن فقط فهمت حسنة جملة صديقنا التي كتبها لها مرّة: "أشكري ربك فحالك أحسن من حالي ألف مرة.. !" كانت الفتاة تكلم شبه إنسان، لم يبق من جسمه غير النصف العلوي: رأسه، رقبته و قليل

من فخذيه. خاليا من أطرافه العلوية و السفلية (لا يدان و لا ذراعان. لا قدمان ولا ساقان.) أحاطت به مجموعة من الأجهزة الكهربائية و الميكانيكية المتداخلة: على يمينه و على يساره و فوق راسه..

- "لا أكاد أصدق.. يا إلهي.."
- "بل صدقي يا حسنة.. يوجد في هذه الحياة من حاله أسوأ من حالي بكثير و رغم ذلك نجده سعيدا متعلقا بالحياة و بأسبابها.."
- "كيف حصل لك هذا.؟"
- "اصبت في حادث مرور خطير، نجوت منه بأعجوبة و ماتت على إثره كلّ من زوجتي و ابنتي الوحيدة "حسنة".. كان اسمها مثل اسمك، لو بقيت على قيد الحياة لكان الآن عمرها في مثل عمرك..

رحمهما الله.. الحمد لله لقد
عوّضني الله خيرا بك أنت
يا حسنة.. الحمد لله
و الشكر له.."

كانت الفتاة تنصت إلى صديقنا و الآسى ينهش قلبها فتنفجر باكية دون توقف..

انتقلت حسنة إلى العيش مع صديقنا بعد أن ألغت عقد كراء شقتها. و لم تطلع أحدا على حياتها الجديدة، أخفتها عن الجميع و خاصة عن منجي و فرقته و على رأسها "طارق" الذي يلح عليها في الزواج و لا ينفك عن احراجها.

و تمر الأيام (...) تواصلت حياة صديقنا رفقة حسنة سعيدة ملؤها السرور و الحبور. فملأت عليه وحدته و أعادت لبيته دفئ الأسرة الذي فقده منذ ثلاثة عقود خلت، فأصبحت الفتاة هي كل حياته: الصديقة، البنت، الأخت، السكرتيرة، الممرضة، الطاهية... كل شيء..

ooooooooooooooooo

خلال أحد الأيام كانت حسنة بصدد السهر مع صديقنا تقرأ له قصة سارتر "الغثيان" (التي يحبها صديقنا كثيرا..) و هو يصغي إليها في اهتمام معجبا بصوتها الملائكي الحنون و مأخوذا بحذقها لصوتيات اللّغة الفرنسية.. عند الصفحة السبعين توقفت الفتاة فجأة عن الفراءة، طوت الكتاب، رفعت رأسها مخاطبة صديقنا دون مقدمات و بكل تلقائية.. و كأنها سترمي عليه حملا من الكلام يؤرقها و يثقل كاهلها:

- "لماذا لم تتزوج.. مرّة ثانية.. ما المانع..؟"
- "هل يستطيع الزواج من هو في مثل حالتي زيادة عن سني..؟ و هل توجد امرأة يمكن أن تقبل بي..؟ !
- "ألف تتمناك.. سعيدة الحظ التي تتزوجك.. إن وافقت أنت (طبعا)"

ooooooooooooooooo

- "من هي يا حسنة التي تقبل أن تربط مصيرها بشبه جسم رجل..؟"
- "أنا.. و يشرفني ذلك.. نعم أنا.. أنا.."

مرت ايّام الزفاف سعيدة و استطاعت حسنة أن تعيد إلى صديقنا ثقته بنفسه على جميع المستويات.. بعد سنتين من زواجهما حملت حسنة منه و أنجبت بنتا جميلة سماها صديقنا "حسنة" على اسم ابنته الراحلة و زوجته العزيزة العظيمة. ازداد "المتفائل دائما.." إقبالا على العيش فأبدع و أجاد في مهنته.. و لم تبق حياته باردة ميّتة في الظل بعد أن بزغت فيها شمس "حسنة" الدافئة.. و مضت الأيام..

– تمت –

ooooooooooooooooooo

الوداع صديقي.. -صالح مبروكي-2020

الوداع صديقي..

قلت: "إن دقيقتين من حياة صحفي لا تساوي شيئا في نظر الحياة الإنسانية."
هي جملة قالها لي صديقي و انطلق دون وداع في طريق ليس لها عنوان.
ماذا انتظر هذا الصحفي من قلمه؟ هل يكتب به ليعيش، أو ليحرج به من يريد أو ليسخر به من الناس أو ليمدحهم و ينافقهم. ليتحدث عن خصاصته و فقره و حاجته. أم ليستحضر به صورة أمّه التي لا يعرفها. ليتذكر صورة امرأة ذات ظل طلاسمي أم ليسخر من ذاته بكل بساطة..؟
قبل أن يودعني صاحبي دون وداع، قال لي: "إن الصور التي يصورها الصحفي هي صور ذات ألوان غنية و واضحة تتميّز بكثافة حسيّة رائعة."
و انطلق دون وداع أو محاولة وداع.

كان شابا طموحا، حالما. كان يحب الحياة مقبلا عليها و يحلم بأن يكون إنسانا مهما جدا (VIP)، مفكرا و فنانا. أشهر من "كوكاكولا" لما لا؟
و أغلى من سيارة "BMW". و أغنى من "بيل غايتس".
فضلا عن حبه لأمه التي لم يعرفها كان يحب حدّ الجنون ثلاث مؤنثات: القراءة، الكتابة
و الصحافة. امضى شبابه في محاولة تحقيق حلمه الأكبر بان يصبح صحفيا كبيرا.. كبيرا. كان دائم القول: "الصحفي هو الشاعر، الكاتب، المؤرخ و السياسي. إنه السيّد-كلّ-العالم."
مرت الأيام بحلوها و بمرها، أصبح كما أراد، صحفي: يكتب، يحرّر، يصوّر و يمارس مهنته المحبوبة. هل حقق كلّ ما أراده عندما كان شابا طالبا في كليّة الإعلام. لحظة كان يحلم بحياة كاملة و متكاملة..؟
اليل، المجهول، الشبكة، المرأة و القلم أين ستحمل جميع هذه المعطيات هذا الصحفي التعيس..؟

مثل كل ليلة، يا سادتي، يحلو لي النوم و بين شفتي سيجارة مشتعلة. أغلق عينيّ الحزينتين لأحلم بنار تحرق وجهي المغمور بكومة "تبن" هائلة و أحلم ببركان أحمر كجهنم يبتلع جسمي اليابس كورقة سمراء في بطنه الكبيرة المحترقة.
أمتص سيجارتي بلذة لا تُضاهى كما يمتص الرضيع حلمة ثدي أمه، عندما يفارقني النهار و أرتمي في نسيان اللّيل. ليس نهاري بالمضيء و ليس ليلي بالمظلم.
تعطيني سيجارتي المشتعلة بين شفتيّ الإحساس بالهروب من ذاتي إلى السماء الشاسعة الواسعة بحثا عن نهار و ليل عاديّين مثل نهار و ليل كلّ الناس.
يحق لي ، يا سادتي، باعتباري شاعرا سابقا، أن أستهل وصية الوداع هذه ببعض الأبيات الشعرية:

لست إلا صحفيا فاشلا
لا أنام
يخيفني كابوس
أراني بعيني..

ooooooooooooooooo

أراني غارقا
غارق إلى عنقي في بحيرة حبر
حبر.. و حبر.. و أيضا حبر..
عندما أرفع يديّ لطلب النجدة
إليّ.. إليّ.. النجدة..
تأخذ أصابعي شكل الريشة
تصبح أصابعي ريشات حادة
عنيفة دموية.. لا ترحم
مثل السيوف.. دامية و دموية
تكتب و تكتب بلا توقف
تكتب أي شيء كل شيء
في الفضاء و على البحر و تحت الأرض
على وجهي و على أوراق الشجر
إنها تصرخ و تصرخ
توخزني.. تقرصني.. تجرّحني
السماء كانت مليئة..

ooooooooooooooooo

بسحب من أوراق الصحـــــــــــف
خطّت عليها أصابعي القلميّة- الريشيّة
خبر نعيّي، خبر وفاتي، خبر هلاكي
بدمـــــــــــي..
بحبـــــــــــري

ترافقني الكوابيس و تطاردني خاصة عندما أكون بصدد جماع سيجارتي و هي بين شفتيّ، فهي التي تساعدني على نسيان ريشتي الرهيبة و جريدتي التافهة.

خلال إحدى الليالي الشتويّة الباردة المخيفة، استيقظت فزعا مرعوبا و نظرت إلى ساعتي – شاهدي على خشيتي الوجودية من الزمن و من النهاية – كانت تشير إلى الرابعة صباحا. في الأفق كانت تلوح بقية قمر أبيض شاحب. و كالمعتاد كانت صورة أمي حاضرة رفقة كل ذكرياتي معها.

هذه الصورة المقدسة التي تطارد دائما أشباحي التي ليس ظل من نومي الكابوسي.
كنت – مثل كل ليلة – محاطا بأشباح مخيفة
و بهياكل الموتى. و هي بصدد تقطيع أطرافي بسكاكين عملاقة و خنق عنقي بحبال من جمر بكل عنف و سادية. لم تعنيهم دمائي النازفة ولا صرخاتي و لا توسلاتي. مردّدين معا و في صوت واحد: "ساعتك حانت.. ساعتك حانت.." عندما تأكدوا من موتي. كفنوني في ورق صحيفة قديمة صفراء ليتم دفني في قبر صغير حقير مليء بريشات مكسورة. ثم سكبوا الحبر على جثتي المقطّعة. في الوقت المناسب، طردت أضواء صورة أمي الملائكية هذه الكوابيس بشخوصها المفزعة. و طواني النوم في ثناياه لأستيقظ في صبيحة اليوم الموالي و أقصد عملي ناسيا ما عانيته خلال تلك الليلة السوداء.
مثل كل ليلة، كنت بصدد احتساء بعض قوارير الجعة، و من لحظة إلى أخرى كنت ألمس لحيتي

و ألاعبها بأصابعي. تذكرني دوما بلحظات التأمل و التفكير عندما أهم بكتابة مقال أو قصة أو قصيدة حب موجهة إلى سيّدة لا توجد إلا في مخيّلتي.
كانت لي عادة طريفة في شرب الخمر، إذ كنت أعشق طريقة العناق الشفوي المباشر (la BàB) مع قارورة الخمر، تقبيل قارورتي هو كل ما أشتهي. الكؤوس، لم أكن أحبها، كنت أمقتها، فأنا – يا سادتي – لا أحب الوسائط أبدا. لم أكن أنس أن ألاعب بطني، المنتفخة الكبيرة، من فوق و إلى تحت و العكس بالعكس. خلال فترات الخلوة مع قارورتي الغالية الحبيبة.
أعلم جيّدا أن بطني المتعفنة العفنة مليئة بالسوائل: قهوة، شاي، جعة، خمر، حبر، ويسكي، –
و بطبيعة الحال المياه المعدنية –
كنت أتخيل أن بطني تنتفخ و تنتفخ لتصبح في حجم المنطاد ثم تنفجر دفعة واحدة. انفجار هائل تاركا وراءه نافورة عملاقة من الحبر الأسود المركّز ينساب بقوة كالطوفان و لا يترك بقعة إلا و يلوّثها.

ooooooooooooooooo

فجأة تقبل آلاف الريشات من كل حدب و صوب راقصة، متمايلة و ضاحكة في شبق. تشرب حبرها من تلك النافورة و تشرع في الكتابة. كتابة أي شيء و في أي مكان يقابلها. تكتب حروفا بخط كبير و عناوينا فوقية و تحتية و بينيّة صحفيّة. كل ريشة تكتب منعزلة في ركنها الخاص. تشاهد عينايّ هذا المنظر المخيف و تذرفان الدمع الحارق على جثة صحفي مفقود. على دثته المنهوشة. لم يكن هذا الصحفي المسكين إلا أنا بشحمي و لحمي وبطني المنتفخة الكبيرة و حبري.
عندما أفرغ من قارورتي تتوقف أصابعي عن مداعبة بطني، و مرّة ثانية أطلب من النادل أن يجلب لي قارورة دون كأسن إلى حدود ساعة متأخرة من اللّيل.
سيّداتي، سادتي، "إنّ كل شاعر مبتدئ هو صحفي موهوب.." هي جملة قالها صحفي يمتهن القول و القيل و القال. انتبهت إلى حكمة هذه الجملة بعد أكثر من عشرين سنة مضت منذ اللحظة التي كتبت فيها قصيدة غزلية لزميلة لي في الجامعة،

تركتني و انطلقت – دون وداع – مع "رجل-ضدّ-صحفي". هي أيضا لم تكن يوما تحب الصحفيّين أمثالي و كانت تمقتهم و تحتقرهم و تقول عنهم: "سقط المتاع و مزبلة المدينة.."
منذ تلك اللحظة قررت أن أكون شهيرا مشهورا وشهريار نساء. و ها أنني وصلت و حققت رقما قياسا في الأمراض و العقد مع شهرتي هذه.

لا شيء يسير...
أبـــــــــــــــــــــدا..

على الساعة العاشرة صباحا، يا سادتي، سلمت مقالي الخاص بالشعر و ظاهرة الرمزية الطوباوية إلى مجلة تصدر بفرنسا. و على الساعة الثالثة عشرة و خمسة و أربعون دقيقة زرت مقر جريدة محلية سلمت رئيس تحريرها تحقيقا حول عارضي الأزياء و مغامراتهم العاطفية غير العادية. و حوالي السابعة عشرة، كنت برفقة صديق لي – رئيس تحرير إحدى الصحف

المسائية – و قد ناقشنا عنوان محاولتي الأدبية الأخيرة (حوار داخل الحوار.) و قد حاولت من خلالها نقد مسرحية منولوجية، هي بصدد العرض هذه الأيام. و على الساعة التاسعة مساء كنت جالسا بإحدى الحانات الصغيرة المغمورة لأشرب و أخطط لمقالي المقبل حول "التطرف الديني و السلفية الفكرية في العالم العربي." لحساب مجلة لائكية تصدر بدولة علمانية "ديمقراطية" من دول العالم الثالث. بعدها جاءني أحد الأصدقاء، و قد كان في زيارة عمل صحفية لمدينة باريس ليسلمني مبلغا من المال بالعملة الصعبة كثمن لمجموعة من المقالات التي كتبتها في السابق لحساب مجلة "منحطة" صفراء تبيع و تشتري في المبادئ و القيّم، منذ أكثر من سنة و نصف. و حوالي الساعة الحادية عشر ليلا، التحقت بشقتي الموجودة بعمارة شاهقة بإحدى الأحياء المترفة جدا، لتناول بعض الطعام، حيث لم أجد ما يؤكل أو ما يصلح للأكل. الشقة "تضرب تقلب" كل محتوياتها كانت رأس على عقب.

ooooooooooooooooo

لا يهم ! اعتدت على هذا النمط من الحياة. سأشرب قهوة ! الأمر غير ممكن حتى مع القهوة.. لا كأس، لا سكر، لا عود ثقاب، لا بُن، لا شيء يصلح لأي شيء في هذا المنزل المشؤوم. لم يكن يعنيني و أنا أعيش وحيدا.. لم يكن يساوي أكثر من مرقد.

أشعلت جهاز التلفزيون، لا شيء جديد، و لا شيء هام. نفس الأخبار تسمعها، تراها و تقرأها في جميع وسائل الإعلام. بالنسبة إليّ، فإن الأخبار تصلني تباعا دون أن أتعب في جمعها و أنا جالس في مكتبي، عبر تلك الأجهزة الكثيرة في الجريدة. جميعها على شاكلة: "صرح السيد فلان.. دشن المسؤول الفلاني.. قرر المجلس الفلتاني.. ألقى الرئيس العلاني.. نوّهت الحكومة الفلانية.. نددت الدولة الفلتانية.. إلخ"

دائما تتكرر الأنباء ذاتها و الأخبار نفسها حول: الحروب، الكوارث، الحوادث، الفضائح، المؤامرات، المناورات، الانقلابات، المباريات، اللقاءات، المتفرقات، إلخ ..

ooooooooooooooooo

أنام على الأخبار و عليها أصحو. لا يهم، سأقصد مطعما لأتعشى و أشرب كل ما أريد و مثل كل ليلة، لا سيما و أنه لدي الكثير من المال هذه الأيام. حافظة نقودي تعج بالأوراق الملية من فئة العشرة و العشرين و الخمسين. شؤوني المالية تسير على أحسن ما يرام، أدام الله هذا الرخاء !
أكتب كثيرا و أربح كثيرا، سأدفع بالعملة الصعبة إن لزم الأمر و نفذت أوراقي النقدية الآن. عندي الكثير من المال بفضل مقالاتي المنتشرة في كل مكان من العالم. إن صحفيا موهوبا يستطيع بجرة قلم – أن يربح الكثير و هذا متيسر له منذ اللحظة التي أعلن فيها أنه: للبيع، للكراء، للإيجار..، – و حتما سيعيش حياة مترفة مثلما أعيش أنا الآن.
"كل إنسان ليس إلا صورة لوهمه المحسوس.."
ما تقدم، يا سادتي، هو قطعة من نهاري. أحرقوها، إلعنوها أو أرجموها. مثلما يحلو لكم، لكن أتركوا لي ليلي و لا تلمسوه. فهو معبدي، ملاذي و خلاصي الوحيد. إنه مقدّس ليلي. ليل الصحفي الشهير.

ooooooooooooooooo

إنني صحفي ضائع و خاسر و مع ذلك فكل العالم يعرفني و يجلني. و كل صحفيّي الدنيا و صحفيّاتها يحلفون بإسمي و بإسم ريشتي التي لا تجامل و لا تعادي و لا تخشى و لا تخاف و لا ترهب. برغم شهرتي الواسعة هذه فإنني، يا سادتي، أحس بأنني لا أساوي شيئا حتى ثمن ريشتي التي لا أكتب بسواها و التي أُهديت إليّ سابقا عندما كنت طالبا في الجامعة من قبل صاحبة لي، نسيت اسمها و شكلها بعد كل هذه السنين.

لدي الكثير من المال المكدّس في عديد البنوك الداخلية و الخارجية. إلى درجة، أنّني أحتفظ بأرقامي حساباتي في مفكرة الكترونية سريّة، نظرا لتعددها و طولها. و لدي كذلك الكثير من السيوف و الخناجر التراثية التي لا تقدر بمال، و عدد هائل من الساعات اليدوية الثمينة و الساعات الحائطية الغالية. و عندي ما لا يحصى من الملابس الداخلية و الخارجية، خمسة أو ستة أجهزة تلفزيون ملوّن كبير، تسعة أو عشرة جهاز راديو، مئات الريشات و الأقلام المكسورة

و المعطوبة و الجديدة، عشرات الهدايا النفيسة المهداة لي من قبل أصدقاء عرفتهم أثناء رحلاتي العملية و الإستجمامية أو الاستشفائية ، أشرطة كاسات، أقراص مضغوطة سماعية أو فيديو. أكداس مكدّسة من الصحف و المجلات المحلية و الأجنبية و أطنان من الكتب و القصص و الروايات و الدواوين الشعرية بجميع لغات العالم. و مئات الأمتار من ورق التلكس. آه.. قبل أن أنسى، علاوة عن كل ما تقدم ذكره، ألاف الذكريات المرّة كالعلقم المكدسة في ذاكرتي التي توشك أن تتعطل عن العمل.

هكذا يا سادتي، أحصيت ثروتي التي سرعان ما تنفذ و تتبخر. هل أخطأت عندما تصورت نفسي غنيا؟ في السابق كنت أقول: "أن تكون رجلا، صاحب إرادة قوية و فولاذية معناه أن تكون بمعزل عن ثروة مثل ثروتي تلك.." هذه الثروة المجنونة الشاذة.

قبل غروب الشمس، كنت بصدد احتساء قهوة سوداء مُرّة في إحدى مقاهي المدينة المختلطة، مع صديقي المحتسب بإحدى الصحف الأسبوعية الرسمية و برفقة زميلي الشاعر (صحفي قديم بإحدى الصحف الأسبوعية الصفراء) و رفقة جاري، رجل الأعمال (قاص و كاتب بعد الخمسين). معا ناقشنا موضوع انحطاط الأخلاق الصحفية و تندي المستوى المعرفي للصحفيّين في البلاد و تحدثنا عن مستلزمات النظام العالمي الجديد، كما أننا تحدثنا عن كل صغيرة و كبيرة في عالم التسميّات و الترقيّات و "التكسيرات" و لم ننسى التطرق لكواليس "التكمبينات" و المكائد.
تحدثنا في كل شيء و أي شيء و "قطعنا
و ريّشنا" كما يحلو لنا حتى جفت حلوقنا فرطبناها ببعض كؤوس "البيرة" المنعشة. ثم شغلنا جهاز الراديو الخاص بنا – إذاعة قالوا! و قيل! – و استمعنا إلى موجز النميمة و الإشاعات و الأكاذيب و التشهيرات و الإشهارات و الدعايات و الادعاءات. كل واحد منا يدلي بدلوه بخبر أو

تحليل أو نبئ "نمى إلى سمعه" من "مصدر موثوق به". و كانت جل أخبارنا متمحورة حول البلاطات و البنات – سامحنا الله – فحتى القطط لم تكن تسلم من ألسنتنا.
حان وقت الانصراف و أصبح هذا المجلس يؤرقني، مجلس الكذب و النفاق و الصفقات
و الخمريات. مللتهم و مللت نفسي و سئمت الدوائر و ربطات العنق.
ليلي يدعوني إليه و خموري تراودني عن نفسها.
حان وقت العناق، فخل عنك أيها "الجورنالست الكبير" "قعدات" النفاق و أقصد سهرة حمراء واسعة النطاق. قصدت حانتي المفضلة، بمفردي، حيث شربت ما شئت من خمر و جعة و منها توجهت إلى حانة أخرى، نسيت الآن موقعها، و منها إلى أخرى و أخرى. فكانت الواحدة ترميني إلى أختها و هكذا.. لا يهمني الخمر منصوح به في هذه البلاد الخمرية و المال متوفر عندي، إني صحفي غني و مشهور.

بعدها، دخلت إحدى قاعات المقامرة بـ"كزينو" مشهور في المنطقة السياحية أين لعبت فربحت قليلا و خسرت كثيرا حتى أتيت على آخر مليم في جيوبي الكثيرة. غادرت المحل غير واع متطوّحا، متراقصا و مردّدا كلمات أغنية كنت أحبها و لا أستحضرها إلا عندما أسكر. اشرت إلى إحدى سيارات التاكسي آخر الليل بالوقوف. تم حملي إلى الشارع المقابل لشقتي التي كنت دائما أنسى عنوانها. و لحظة هممت بدفع الأجرة "للتاكسي" لم أجد في جيوبي شيئا. نزعت ساعتي و سلمتها له عوضا عن المال. هي إحدى ساعاتي الثمينة الكثيرة. ! لا يهم..

الآن أفتح باب شقتي، المفاتيح.. المفتاح.. ! نسيتها أو أضعتها. بماذا سأفتح باب شقتي الآن.. لا يهم. غدا، أعود للبحث عنها هناك – في إحدى الأماكن التي ترددت عليها – أما الآن، أدخل من النافذة. يمكن لي أن أنفذ منها أنا و بطني الكبيرة المنتفخة. هذه النافذة دائما مفتوحة لتدخل منها قطتي، تستعملها للدخول و الخروج عشرات المرات في

اليوم بمفردها أو صحبة أصدقائها. و هي كذلك منفذ طوارئ يومي لي، نسيت أن أضيف مئات المفاتيح المكسورة إلى قائمة ثروتي.
أتكوّم على سريري و أنام.. لا يهم.

يا سادتي، كنت دائما أردّد: "أريد واحدة جميلة جدا جدا جدا إلى حدّ أن أخجل من جمالها فأطأطأ راسي إجلالا لها.. طبعا لم أعثر عليها. فاكتفيت بأية واحدة تعترض سبيلي. أنثى و كفى.
إنني صحفي يؤمن بأن "الأنوثة إذا سارت في خط مستقيم و إذا استحالت سكونا و دوائرا أصبحت فحولة عقيمة.." لا يهم.. أنثى و كفى..

في مرحاض بيتي كنت أبكي و أنتحب مردّدا:
إنني صحفي مركون و متروك
إنني صحفي "باير" و محروق
و تحت "الدوش" البارد المنعش في أيام جويلية، كنت أغني مردّدا:
إنني المحرّر المرتحل

ooooooooooooooooo

إنني ساحر الكلمات
إنني الصحفي الشاعر الموهوب
في النهار أكتب و أحرّر
كتاباتي قلبت العالم
حرّكت الرجال
رقصّت النساء
مقالاتي تجاوزت الحدود
و "البحور"
و كسّرت السدود
ريشتي تطير.. تطير في كل أفق
المال يجري بين أصابعي كالماء
في الليل.. أسكر و أسكر
أعاشر ألف قارورة و قارورة
و ألف امرأة و امرأة
القوارير-النساء..
الريشة-الورقة
الحبر-البحر
عالمي.. نهاري.. ليلي

ooooooooooooooooo

يا سادتي، كلّ شخص ابتدأ مثلي سينتهي "كيفما كان " بالتأكيد. !
مثل كل ليلة، كنت أردّد إسمي عشرات المرات، قبل أن أرتمي في "ظلمات" السبات و عالم الكوابيس، حتى لا أنساه مثلما نسيت صدقي. صدقوني، يا سادتي، إنّ لي عشرات من أسماء الشهرة لأذيّل بها مقالاتي، تحقيقاتي، تحليلاتي، انتقاداتي، نقاشاتي و علاقاتي الغرامية و العملية وغير الرسمية. برغم أسمائي كلّها التي حقّقت لي صيتا ذائعا فإنّني أحس أنني صحفي مغمور و نكرة. ليست لديه الشجاعة حتى في كتابة اسمه الحقيقي في آخر أعماله مثل بقية المحرّرين العاديّين.
لقد دخلت في متاهة الشهرة و حب التجديد و الأسماء المستعارة فأضعت طريق العودة إلى ذاتي و لم يعد لي عنوان أو مستقر. أصبحت رجلا بلا منطلقات و بلا مبادئ، يسير متعثرا و إذا وقف سقط. فأصبح لزاما عليّ ألا ابحث عن أصلي و ألا أسأل عن منبتي.. و من سأسأل.؟

ooooooooooooooooo

أحيانا، يا سادتي، أحاول حصر ما بقي مني فلا أجد غير بعض الأقصوصات و بعض الكلمات الملطّخة بالحبر أو سيئة الكتابة. إلى حدّ أنّني أرى البحر و كأنه ألة "دكتيلو"، حتى صوت الموج يتحول في أذني إلى "تيك-تاك..تيك-تاك" يقرع راسي الأصلع العاري.
طرقات المدينة.. نعم طرقاتها و أنهجها أمست في عينيّ المهووستين تعج بمارة ذات أشكال غريبة و مخيفة و "زمبيّيات" ينهمر الحبر مدويا عاصفا من عيونها الناريّة. أحرف و أرقام و نقاط و فواصل عملاقة، سوداء، مسلّحة تقتل كل غريب. وكنت أنا الغريب.. لا يهم..

الشبكة أمامك، العنكبوت
وراءك و الله فوقك..
فاختر.. !

لم يبق منين يا سادتي، إلا بعض الصوّر المتداخلة و بعض الأصوات المتمازجة. و مثلث زمني اختلط فيه الماضي بالحاضر و بالمستقبل. فتشابكت ذكريات المجد، النصر، الشهرة، الفشل و الانتحار. تداخلت الذكرى مع الخيال و تداخلت الوقائع مع الهواجس أمام ناظريّ. أصبحت، يا سادتي، أراني منتحرا خنقا بشريط آلتي الراقنة المحبّر الأسود و الأحمر. لم يبق من هذا الصحفي سوى قلبا وحيدا ليس غير ضرب من الأخطاء المطبعية و التراكيب الركيكة حدثت خلال عملية طبعي و تصفيفي و عند لحظة "نشري" و على امتداد حياتي هذه التي بين ايديكم.. ! ساكنة، خانعة تنتظر الحكم النهائي و الصياغة الأخيرة فأحكموا..

يداي، يا سادتي، ترتعشان من كثرة الاستعمال: المنبهات، السجائر و الكحول. جميعها دمرت صحتي و أتت على مداركي الحسية، إلى درجة أن أصابعي لم تعد تقدر على حمل سيجارتي الحبيبة. أعضائي برمتها تختلج دون توقف: قلبي، يديّ

و عنقي أصبحوا في حالة خوف و جزع مستمران. لعلّهم خائفون مني فقد أصبحت مصدر خوف حتى لنفسي... يا ويلي.. بكيت كطفل و أنا أرتشف قهوتي، سيجارتي بين شفتي و صورة صديقتي – التي فارقتها – بين يديّ. لم تكن جميلة فكرهتها.

أفقت، يا سادتي، من نومة دامت دهورا من الزمن. و قفت فوق سريري المتجمّد و رحت أصرخ:

أنا الصحفي، المؤلف، الكاتب، الشاعر، الروائي، القاص، المفكر..
أكتب في كل زمان
كتاباتي تجاوزت جميع الحدود
يحق لي مدح نفسي.. أنا عظيم..
أنا "معظّم"
أعشق نفسي.. أكثر من "نرسيس"
أكتب بجميع اللغات و لجميع النّحل

ooooooooooooooooo

("ماعون" الصحافة يعرفني)
(الريشة و الحبر و الورق
و المطبعة)
نشرت عشرات الروايات
و مئات القصص
نظمت مئات القصائد
الطويلة و القصيرة
في الشعر العمودي و الحرّ
و في الشعر غير العمودي
و غير الحرّ
حرّرت آلاف المقالات
و التحقيقات و الربورتاجات
حققت كل شهواتي..
بكلماتي
ركبتني الحياة بكلماتي
و ركبت الحياة بكلماتي
بها غازلت النساء
و نمت معهن
و بها صاحبت السفهاء

ooooooooooooooooo

لكـــــــــــــــن
فنت كلماتي
اضمحلت و تلاشت
توقف نبضها
و في نهاية رحلتي
مـــــــــــــن؟
من.. مـــــــــــــن؟
من سيكتب هذه الكلمات
على قبري الغريب
و المجهول
"كان هنا و هناك و أينما كان..
كان له ريشة و كلمة
كان كاتبا.. كان مؤلفا.. كان محرّرا
كان صحفيّا.. كان شاعرا.. كان فنّانا
مـــــــــــــــــات
و الموت مصير.. محتوم
و لا غالب له

ooooooooooooooooo

الوداع صديقي.. -صالح مبروكي-2020

دُفـــــــــــــــــن
ملفوفا في ورق كريه
ورق جريدة صفراء بالية
حقيـــــــــــــــــرة
يا إلهي .....
يا إلهـــــــــــــــــــي...

من سيكتب على قبري هذه الكلمات الأخيرة: "هذا المحرّر هو الان يرقد ميّتا، جثة هامدة، متعفّنة، عفنة و محبّرة."؟ من سيقول: "رحمه الله.." و من سيقول: "لعنة الله عليه.."
يا سادتي، إن المنهوك مثلي لن يرتاح في حياته و لن يرتاح – حتى– في موته. إن جسمي بأسره يرتعد من الضعف و من السقم. شخت قبل أن يحل ميعاد شيخوختي. أشرفت على النهاية و أنا لازلت في البداية. إليكم، يا سادتي، الدليل:
خلال إحدى خلواتي الجنسية، قالت لي مرافقتي المومس متبرمة: "إنك لا تصلح لشيء، إنك لست

رجلا و كأنني أنام مع أختي.. كان يجدر بي أن أنام مع كلب، "خير ليّ"
كنت أعجز عن كل ما تشتيه امرأة من رجل، حتى بعد عديد المحاولات و في عدة مناسبات. استلقيت على بطني و أشعلت سيجارة. كل ما أستطيع فعله هو التدخين. أما ما تطلبه مني هذه المرأة.. "فيا حسرة.. لا يهم..

يا سادتي، لقد قررت أن أتحرّر. أقفلت على نفسي باب شقتي، هشمت جهاز الهاتف و رميت كتبي جميعها من النافذة إلى "حمّاص" الحي. و في مغسل "توالاتي" نقعت جهاز الراديو و جهاز التلفزيون و الفاكس و التلكس. ثم كسرت جميع ريشاتي و أقلامي و نظاراتي. و أتلفت جميع ما يذكرني بي. رميت بمفاتيح شقتي و مكتبي و سيارتي و خزينتي في البالوعة. مزقت سراويلي و قميصي و ملابسي الداخلية و الخارجية فخرجت منها عاريا كالحقيقة. بصقت على بطني المنتفخة

المسلوخة. أما عن ربطة عنقي فسأشنق بها نفسي و أخنق بها أنفاسي الضعيفة المتبقية.
صرخت، بكيت، ضحكت ثم بكيت طويلا حتى سجدت على ركبتي.. ها أنك تسجد و تركع هذه المرة.. عدت للضحك. ضحكت عاليا عاليا. ضحكات أنيقة. خرجت من فمي في أبهى حللها الملائكية.
كنت أعلم أن أنفاسي غادرتني بلا رجعة و أن الثلوج الباردة و الرمال الحارقة ستغمرني قريبا. و أن مصائب الدهر انهالت على رأسي منذ علمت إني بلا أمّ ومنذ اللحظة التي فقدت فيها صدقي. عميت و انخرست.. يا ويلي.. لا يهم..
أنا الصحفي الخدوم المطيع، لم أكن غير خادم أحمق. منظف صحون، كنّاس شوارع أسياده و القائم بشؤون صغارهم. لست إلا صحفيّا للمضغ، للإيجار، للكراء أو للرمي بعد الاستعمال "جيتابل" لم يعد يهمني أن أقبر في مقبرة المنسيّين و المتروكين و المارقين و المختلين و المخدوعين و المسلوقين أو أن أُسجن في مرحاض منزلي.

ooooooooooooooooo

وداعا أيها "الجورنليست" وداعا يا حياتي الصحفية، وداعا أيتها القصيدة التي دفنتها تحت أوراق نفاقي و غشي.. الأوراق المالية تبدو لي الان و كأنها باقة ورد وضعت فوق قبري الهزيل. لساني تدلى من حلقي الجاف كبرقيات آلة التلكس..

في صحف اليوم الموالي ستظهر صورة هذا الصحفي على جميع الصفحات الأولى مكتوبا تحتها بالخط العريض: "الإعلامي الكبير و الصحفي الشهير، سي فلان، في ذمة الله.."
ركعت، سجدت هذه المرة.. لا يهم.. المهم أنك ستصلي..
تشيّع الجنازة، يُدفن، يحاسب/لا يحاسب، يباشر الدود عمله، يُسدل الستار، تنطفئ الأنوار و ننتقل إلى صفحة جديدة..

قبري المسكين، يا سادتي، لن تزوره غير حفنة صغيرة من السكرتيرات المخلصات، اللاتي ربطتني بهن علاقات طيبة و دافئة. و طبعا طيفها –أمّي– سيكون في الموعد لاستقبالي و الترحيب بي. أما قطتي السوداء – تركت لها النافذة مفتوحة للأبد –

فلأتطهر، يا سادتي، من نفسي بنفسي.. غفر الله لي أخطائي و تراهاتي الصحفية و بيّض صحيفة سوابقي و ذنوبي عنده... أميـــــــــــــن.

وداعا أيها الصحفي.. فقد كنت تنبض بالحياة.

الوداع صديقي..

الوداع.. لا.. بل إلى لقاء قريب..

– تمت –

ooooooooooooooooo

الوداع صديقي.. -صالح مبروكي-2020

الكاتب..

جلس إلى طاولته ذات مساء بعد أن طلّق جلساته معها لمدة سنوات طويلة. فكّر في ما عساه أن يخطّ على ورقته البيضاء، تراءت له مساحتها شاسعة مترامية الأطراف كالبحر المتوسط. أحس بعجزه عن الإبحار أو الغوص في بحر "ورقته" العذراء. تناول قلمه الأسود، نزع غطاءه، جرّب الكتابة به على كف يده اليسرى، جيّد.. إنه يكتب. هذا فأل خير. ماذا يريد أكثر من ذلك؟
طاولة، كرسي، ورقة و "ستيلو" إنه على أتم الاستعداد ليكتب. ليبدع. ليخلق. ليبتكر. ماذا ينتظر؟ ماذا تنتظر، أيّها الكاتب؟ إنك كاتب. لا يعرف الاستسلام.

طال تفكيره في ما عساه أن يكتب.
أيكتب قصيدة؟ أم يكتب قصة؟ أو خاطرة؟ أو رسالة؟ او رواية؟ أو مقالة..؟
راقت له فكرة كتابة قصة. إنه مولع بكتابة القصص القصيرة، المقتضبة، المختصرة. يعشق الخيال فيه يجد نبض الخلق و الإبداع. به يصنع شخوصه، يحركها، يركبها و يركنها.
تمكنت منه فكرة كتابة قصة، فليكتب قصة. ! لكن كيف يمكن له أن يؤلف قصة أيّاً كانت؟ بعد أن أقلع عن صنعة الكلمة لأكثر من عقدين، لا يهم..
بإمكانه دائما حبك قصة يُضمنها رؤاه و تصوراته و حتى قناعاته و مباديه.
سيكون متلبسا لشخوصه الأبرياء، ساكنا كلماتهم. إنها لعبته، سيكتب ما يحبّ أن يقول و سيقول ما يحبّ أن يكتب. هذا الكون كونه و هذه الورقة ملكه، حتى القلم اشتراه من ماله مباشرة و لم يستلف ثمنه كما يستلف ثمن "السواقر" (السجائر) كلّ مرّة.

حسم أمره و قرر، لن يتراجع عن فكرة تأليف قصة. لكن هل ستكون واقعية، براقماتية، ذاتية، مسرحية، هزلية، درامية، انطباعية، تسجيلية، تصويرية، سينمائية. في أي لون من ألوان القصصّ سيكتب؟
شرع في الكتابة، كتب أخيرا، و بعث الروح في ورقته. انفجر الحبر كلمات و أفكارا منثورة على سطح ورقته-الفتاة. ضاقت الورقة بالكلمات، غصّت الأفكار و تعانقت متلاحقة بحثا عن دفئ مستديم. كان لها ما أرادت، تزاوجت و توالدت و عمرت كون ورقته-المرأة.

تنفس الصعداء بما أنه كتب أسود على أبيض. ألف قصته المنشودة و بذلك عاد الوئام بينه و بين طاولته و كرسيه و ورقته و قلمه.
كم يبدو الآن سعيدا بعد أن استطاع الكتابة. لطالما تمنى أن يكتب. و بما أنه كتب.."برافو".. أيها الكاتب. ماذا كتب، يا صديقي، الكاتب؟
أنظر.. دقّق النظر.. هل ترى ما أرى..؟

ooooooooooooooooo

ورقتك البيضاء لا تزال بيضاء. ! و قلمك سقط من بين أصابعك بعد أن طال بك السهر فنمت و أنت جالس على كرسيك، فأسندت راسك على الطاولة.
لقد نمت دون أن تكتب و لو حرف واحد.. نمت كالطفل..
لعلّك كنت تكتب في خيالك، خيالك شاسع، أيّها الكاتب، أعلم ذلك. لكن..
لكن، أيّها الكاتب، لابدّ أن تؤلف لنا قصة أو قصيدة أو رواية.
لتعيش أنت و نعيش نحن..
بنا تعيش. و بك نعيش.
شكرا، أيّها الكاتب.
دمت لنا..

– تمت –

بداية البداية..

و كان لابدّ أن يبزغ فجر يوم جديد.. !

و كان لابدّ أن يبزغ فجر يوم جديد.. !
طال ليله و اشتدت مأساته حتى حسبها قدره الأوحد، النور صار في عينيّه ظلاما حالكا فأمست الظلمة هي قبلته و تاه فيها..

و كان لابدّ أن يبزغ فجر يوم جديد.. !
امتدت معضلته عشر سنوات برمتها أو يزيد، ذاق فيها الأمريّن فكان يموت في اليوم الواحد ألف موتة. ينام عند السحر "غاثيّا" و يصحو عند الغروب "غاشيا".
انقلب نظام الكون عنده، فلا ليله يشبه ليل النّاس و لا نهاره كنهارهم.

و كان لابدّ أن يبزغ فجر يوم جديد.. !

هو يعلم أن شرف الإنسان في العمل. قرأ هذا في الكتب و سلّم به، لكنه لم يستطع أن يتذوق حلاوة هذا الشرف العظيم لأنه لم يعمل. لم تتوفر له فرصة الشغل كما يجب.

و كان لابدّ أن يبزغ فجر يوم جديد.. !

مثله كمثل الناس كافة، كان يحب الحياة و يعشق الجمال. أحب ألف امرأة و امرأة. نام مع ما "تيسر" و تمنى أن يشيّد حياة كريمة بسيطة كمخلوقات الله جميعا. لكنه كلما فكر في واحدة سبقه غيره إليها. و كلما نظر إلي حاله وجدها سيئة، هزيلة، كسيحة... و كلما تفقد جيوبه لم يعثر فيها إلا على عقب سيجارة "بايت".

و كان لابدّ أن يبزغ فجر يوم جديد.. !
كان ميّالا إلى الآداب و اللّغات و الفلسفة و كافة العلوم الإنسانية الأخرى. تميّز فيها و أبدع، غير أنها لفضته قبل نهاية "الشوط الثاني" بقليل.

و كان لابدّ أن يبزغ فجر يوم جديد.. !
على عكس الناس جميعا – أو بعضهم – لم يكن يروم المال و كان يعتبره مجرد وسيلة للعيش و ليس غاية في حد ذاته كما يعتقد الكثيرون. فكان لا يرتاح إلا إذا أتى على آخر مليم في جيوبه القليلة.

و كان لابدّ أن يبزغ فجر يوم جديد.. !
كان ايمانه بالله من نوع آخر، غير معتاد. ابتدأ حياته مؤمنا بالوراثة، ثم تساءل بعقله عن وجود الله، فما وجد أجوبة شافية فتصنّع عدم الإيمان غير أن بذرة إيمان عقلي متميّز كانت تكبر فيه شيئا فشيئا حتى حُلّت مأساته ليكبر داخله الإيمان و تبزغ فيه تماما شمس الله الخالدة.

ooooooooooooooooo

و كان لابدّ أن يبزغ فجر يوم جديد.. !

استيقظ، ذات مرّة، على غير عادته على آذان صلاة الفجر، أشعل نور غرفته، نظر إلى ساعته الحائطية فوجد عقاربها جامدة. توضأ، تعطّر، لبس ملابسه الشتوية، قصد باب الخروج.. ثم غاص في ظلمة الشارع. لم يكن ظلاما معهودا..

و كان لابدّ أن يبزغ فجر يوم جديد في حياته.. !

- (مـــا) تمت -

عثمان و الجنيّ..

بعد تخرجه من إحدى معاهد تكوين المعلمّين، مكث "عثمان" في بلدته المنجميّة مدّة من الزمن منتظرا الموافقة على مطلبه الذي تقدم به للتدريس بالمدارس الابتدائية. لم يتلق أي رد ايجابيا كان أو سلبيا. عدد كبير ممّن سبقوه في التخرج أو ممّن لحقوه مازالوا في انتظار برقيات التعيّين. و يعود ذلك إلى أن عدد المتخرجين الجدد قد فاق بكثير عدد الوظائف الشاغرة في هذه المهنة.

انتظر عثمان وقتا طويلا – سنتان أو أكثر – فتمكن منه الضجر و نغّص عليه الفراغ حياته الرتيبة في بلدته النائية و البعيدة عن أسباب العيش الحقيقية. رغم تشجيع أمه له و التي كانت تقول له دائما: "يا وليدي.. استنى ماكش خير من غيرك.. توه قسمك يجيك.."

ألحت عليه الحاجة فبحث عن عمل مؤقت يرتزق منه و يعيل به عائلته الفقيرة، في انتظار "تعيّين" قد لا يأتي. عجز عن ايجاد ضالته في بلدته

المنجميّة الصغيرة المعمورة فقط بفسفاط "الكبانيّة" (شركة الفسفاط بالجهة) التي ضاقت هي الأخرى بعمالها مع أزمات الإنتاج و البيع، و أغلقت نهائيا باب التشغيل و الانتداب.
لا يوجد شغل، هنا في بلدته.. عليه البحث عنه في مكان آخر. بلاد الله واسعة. و قد يجد "خبزته" في مكان آخر.
استقر رأيه، أخيرا، على السفر إلى إحدى المدن الساحلية، إذ قيل له أنها تزخر بمواطن الشغل الموسمية. جهّز نفسه للسفر خلال إحدى الأيام الربيعية من شهر مارس. رتب "صاك" سفره منذ الصباح الباكر و عند الثالثة بعد الزوال سلمته أمه مبلغا ضئيلا (أقل من خمسين دينارا)، استلفها له أبوه من عند خاله. حيّى أفراد أسرته و اتجه إلى محطة "اللوّاجات" (سيارات الأجرة) لتنقله احداها إلى محطة "التران" (القطار) الواقعة بمدينة منجميّة أخرى قريبة من بلدته. عند الساعة السابعة مساء سلم عثمان موظف شباك التذاكر كنش "البرملي" (دفتر سفر داخلي) صحبة ثلاثة دنانير،

اقتطع له تذكرة ذهاب درجة ثانية ليحل بمدينة (س.) على الساعة الثالثة صباحا.
أمضى بهذه المدينة الساحرة، الكبيرة، اسابيعا طويلة باحثا عن عمل. لم يعثر إلا على عمل بسيط في إحدى "الشوانط البنائية" حيث كان يعمل و ينام على عين المكان. تملكه الإرهاق و التعب. جاع و اتسخت ملابسه و نام في الحدائق العمومية و في الشواطئ و على قارعة الطرقات المنزوية و تحت الجسور و "القناطر".
يئس عثمان من تحقيق رغبته في الاستقرار بعد أن عجز عن الشغل الشاق بهذه "الشوانط". كان يمضي يومه في التسكع على شواطئ المدينة و في شوارعها من الصباح إلى المساء و كان ينام عندما يحل الليل في أي المكان. نام حتى في المقابر و "الخرب."
ذات مساء كان بصدد السير على حافة شاطئ سياحي بالمدينة، مطأطأ الرأس، يائسا، مفكرا بجدية في كيفية العودة إلى بلدته، و هو المفلس الذي لا يملك حتى مائة مليم ثمن سيجارة. كان

يمشي ببطيء و تثاقل و لا يدري اين يذهب و أين يتجه. ابتعد كثيرا دون أن يشعر و توغل في الشاطئ و كان ماء البحر يلامس قدميه - الغارقتين في "سبادري" تهرأ و لم يعد يصلح للاستعمال – توقف لنزعه من قدميه إذ كان يعيقه عن السير. جثى على ركبتيه لنزعه و التخلص منه نهائيا. لكن قدمه اليمن غرقت تماما في الرمال و توغلت فيها و عندما انتزعها تركت مكانها حفرة عميقة.

تحقق عثمان من تلك الحفرة، أدخل يده فيها لتحسس علبة معدنية ظهرت له هناك. ماذا يرى.؟ علبة طماطم حمراء (مغلقة) من فئة الرطل. رفعها بيده اليمنى وجدها خفيفة، رماها وراءه قائلا: "طلعت قرعة". قام من مكانه، نفض الرمال العالقة بقدمه و بركبتيه و استدار عائدا أدراجه و اذا به يتعثر بعلبة الطماطم تلك. ركلها بقدمه اليمنى ليضعها أمامه و راح يركلها و يركلها كالكرة. و قد عاد إلى التفكير في معضلته وحالة "الميزيريا" القاتلة التي لا يجد لها حلا. كان

منشغلا بمشكله و بركل العلبة في نفس الوقت. ركّز نشاطه في ركل العلبة و اللعب بها و كان بين الفينة و الأخرى يركلها بقوة و بعنف فتطير لتحط في مسافة بعيدة عنه فيجري نحوها ثم يعيد ركلها و هكذا..

عند احدى هذه الركلات سمع صوتا متألما مستغيثا: "آي.. آي رأسي.. !" انتبه اليه جزعا. فاذا السماء التي فوق راسه اختفت .. و غطاها ظل رجل عملاق راسه تلامس عنانها. يخرج من تلك العلبة أصله فيها ورأسه لا تكاد ترى. لف الضباب الكون و غامت السماء. أم عثمان فإنه سقط مغشيا عليه من شدة الخوف و الهلع من منظر ذلك الجني العملاق. صاح المارد العملاق في وجه عثمان، الذي ظهر قزما صغيرا كالفأر أمام الجبل، ارتعدت أطراف عثمان و اصطكت أسنانه:

- "كدت تهشم رأسي يا هذا بقدمك.. لست كرة يا هذا.. !

انتابت عثمان حالة من الذهول و الرعب البالغ، هوى على الأرض مغشيا عليه. و دون حراك.

حرّكه الجني العملاق بقوّة فاستفاق محملقا في ذلك الكائن العملاق. الذي يراه أول مرّة في حياته و ربما آخر مرّة. أو لعلّه هو "ملك الموت". فتصور عثمان أنه هو الموت. جلس على ركبتيه غير مصدق لما يرى. مذهولا.. خائفا.

هدأ الجني من روعه. وطمأنه، قائلا:

- "لست مخيفا إلى هذا الحد يا هذا.."
- "..."
- "ماذا تريد مني، يا هذا؟ لماذا أيقظتني من أمتع سبات.. !"

اطمأن عثمان بعض الشيء للمارد و تيقن أنه لا علاقة له بالموت و بملكه. رفع رأسه إليه قائلا بصوت لا يخلو من بعض الرهبة:

- "من أنت..؟ من أين جئت..؟ كيف استطعت أن تحشر جسمك الهائل في هذه العلبة الصغيرة.. !؟"

ooooooooooooooooo

- "أنا.. أنا جنيّ علبة الطماطم، المارد، الخارق و اسمي "نيرفانا" و خادمك الان.. خادمك أنت يا سيدي عثمان.."
- "جنيّ.. ! و خادمي أنا.. كيف.. كيف؟"
- "نعم يا سيدي، أنا خادمك الآن.. بما أنك أول من يقظني من نومي العميق بعد خمسة قرون.. أستفيق مرّة لمدة أربعة و عشرين ساعة كل خمسة قرون.."
- "اسمك "نيرفانا" و جني يستفيق مرة كل خمسمائة عام.. لم أفهم..؟"
- "ألم تسمع بأسطورة "جني مصباح علاء الدين السحري".. أنا "جني علبة الطماطم".. ليس في الأمر ما يصعب فهمه..

ooooooooooooooooo

يوجد "جني المصباح" و "جني العلبة" و جني القارورة" .. إلخ."

- "تريد أن تقول أن تلك الحكايات عن "جني مصباح علاء الدين السحري" صحيحة.. !"

- "نعم يا عثمان، صحيحة، و انا جنيّ "علبة الطماطم السحريّة" مرني. استجيب لك و أضع العالم بعباده و حيواناته و حشراته و بواخره و طائراته و صواريخه و جباله و نسائه و رجاله و مائه و هوائه و (...) أمامك الآن و في لمح البصر و حتى قبل أن تطرف عينك.. انا "نيرفانا" الخارق و جنيّ لا مثيل لي.."

فرح عثمان و اغتبط قائلا في نفسه: "تحلّلي باب العرش يا ممتي. فرجت و ما كنت أظنها تفرج. اليوم فقط سأحقق كل ما تمنيت و كل ما لم أتمنى.." استقام واقفا و في لهجة حازمة خاطب خادمه قائلا:

- "يعني أنك تستطيع أن تحقق لي كل ما أريد دون استثناء وفي لمح البصر.. !"

- "طبعا، يا سيدي، و في اللحظة و التو.. "شوبيك لبيك.." "نيرفانا" بين يديك.." تمنى عليّ و سترى، يا سيدي عثمان.. !"

اليوم هو وقت تحقيق الأحلام و الأمنيات الذي طالما انتظره عثمان. إنه يوم السعد، يا عثمان أطلب و تمنى. العالم بين يديك الآن يا "ولد الكبانية" لن يصعب عليك شيء. ستتحقق كل ما تريد، أي شيء تريد، و في لمح البصر و دون

تعب، بعصا سحرية.. تقف الآن أمامك متمثلة في جنيّ خارق اسمه "نيرفانا"

- "أريد.. أريد سيارة فاخرة جدا، جدا و فيلا عظيمة، عظيمة و زوجة جميلة، جميلة و مالا كثيرا، كثيرا و مجوهرات و عمارات و.."

هنا قاطعه الجنيّ بحزم:

"لابدّ أن نتفق، يا سيدي، ليس لك الحق إلا في ستّ أمنيات تطلبها مجتمعة حتى أحققها لك و أعود بعد ذلك إلى علبتي لأنام نوما عميقا و لمدة خمسة قرون أخرى.. ستّ أمنيات لا أكثر، يا سيّدي."

عاد عثمان ليسترسل في استعراض أمنياته:

- "قلت: ست أمنيّات، لا غير، جيّد، هذا كاف جدا، سأعيد تعدادها: واحد:

سيارة، اثنان: زوجة،
ثلاثة: أموال، أربعة:
وظيفة، خمسة: .."

هنا، تدخل الجنيّ، ليقول:

- "أسرع، يا سيدي عثمان،
بقي لك طلبان.. هيّا،
أسرع، لم يبق لي الكثير
من الوقت.."
- "خمسة:...."

كنت تحلم، يا صديقي، كنت تحلم..
نبهه صوت أمه: "قم، يا عثمان، "فيق يا وليدي"،
إنك تتكلم و أنت نائم..
أبوك لم يجد مالا عند خالك و لو دينار واحد.. !"

– تمت –

رسالة عشق ..

تردّد كثيرا في مصارحتها بحبّه، منعه خجله الشديد علاوة على موانع أخرى كثيرة. كانت "نجوى" تدرس بالسنة النهائية و كان هو بسنته الأولى بكليّة الحقوق بالعاصمة. أحبّها و عشق حتّى ظلها، تغنى بها و كتب فيها أحلى الكلام متغزلا بها و بجمالها. خبأ هذه العاطفة الجيّاشة عميقا في قلبه. فكان يكتفي بمرافقتها إلى المطعم الجامعي عند الظهيرة أو الجلوس معها في مشرب الكليّة لوقت قصير. هي، عاملته معاملة حسنة، ساعدته على فهم دروس القانون و شرحتها له بدقة.

هو، كان تائها في عالم آخر. كيف السبيل إلى البوح لها بحبه، الذي أصبح نارا تحرق صدره و تهز قلبه كلما جالسها أو حادثها.

أشرفت السنة الجامعية على الانقضاء و قد تمتّنت علاقتهما فلاحظ الجميع ذلك فكان يسعده أن يقول

أصحابه عنه و عنها: "إنكما متناسبان، متناغمان. إنّك تحبها، إنّها تحبك.. **!**" حتى صدق أنها تبادله الحبّ نفسه، صدق نفسه، دون أن يسألها. صدق نفسه برغم جميع هذه الاختلافات التي كانت تفصل بينهما. اختلافات في العمر، في المستوى الدراسي، في المنبت، في اللهجة و ربما حتى في الأحلام.

تعامى عن هذا الواقع الفاصل بينهما و أقنع نفسه بأن نجوى تحبه بمقدار حبّه لها.

و لم يعط لنفسه فرصة ليسألها و يعرف رأيها. بعد انتهاء فترة الامتحانات، اقترحت عليه زميلته أن يرافقها إلى بلدتها الساحلية المطلة مباشرة على البحر، مثلما كانت دائما تصفها له.

قبل الدعوة عن طيب خاطر و بسرور لا يوصف فرافقها ذات صباح إلى محطة الحافلات. هناك استأذنت منه صديقته أن تغيب لحظة لتشتري جريدة تقرأها أثناء الرحلة. نهضت الفتاة متجهة نحو كشك الصحف تاركة بجانبه حقيبتها اليدوية . ما أن غادرت مقعدها بقاعة الانتظار حتى جذب،

هو، الحقيبة في حركة خفيفة، فتحها بسرعة ثم دس فيها ظرفا أصفرا صغيرا مغلقا. أغلق الحقيبة و أعادها إلى مكانها، في حركة مضطربة.
انطلقت الحافلة و كانت مكتظة بالمسافرين، باعد الزحام الشديد بين الزميلين. جلس هو في مقعد من المقاعد الأمامية، أما هي فقد وجدت لها مقعدا في وسط الحافلة. بعد حوالي ربع الساعة من انطلاق الحافلة، شرعت نجوى في تصفّح جريدتها. كان الجو حار و زاده الزحام تعكرا. أحست الفتاة ببعض الغثيان، فتحت حقيبتها لتخرج منها قارورة العطر لتسكب "رشات" من "البرفان" على وجهها و تستنشقه حتى تستعيد وعيها. ما أن ولجت يدها الحقيبة حتى لمست ورقة سميكة. استغربت و جودها ضمن محتويات الحقيبة، تثبتت منها بأصابعها، أخرجتها، ألقت عليها نظرة.. إنها ظرف مغلق.
استعادت نجوى وعيها في ذهول دونما عطر، محتارة في أمر هذا الظرف اللغز، الذي تراه لأوّل مرة و لا تتذكر أنها وضعته في حقيبتها. قلبته، من

جميع جوانبه، كان محكم الغلق و لا يحمل أية كتابة. إستنشقته، شمته مقربة إياه من أنفها.. لا يحمل رائحة مميّزة. ما عدا رائحة الورق. همت بفتحه، تردّدت قليلا.
أخيرا، فتحته و سحبت ما بداخله.
احتوى الظرف الأصفر على ورقات ثلاث، اقتطعها صاحبها من كراس مدرسي صغير الحجم. رامت نجوى بفضول عارم الاطّلاع على محتوى هذه الورقات. كانت على يقين تام أن ما بين يديها الآن هو رسالة موجهة إليها من قبل شخص معيّن.. لكن، من هو صاحبها؟ و ما هو مقصده؟ و لماذا دسّها في حقيبتها في سرية؟
لن تقرأ جريدتها هذه المرّة. قررت قراءة هذه الرسالة ذات المصدر المجهول و معرفة محتواها و فهم معانيها من كلماتها. راحت تقرأ بفضول واضح:
" لن أستطيع أن أقول غير أني أحبك، و هل بعد الحب كلام، و هل فوق الحب كلام؟؟ (...)"

أتت نجوى على قراءة تلك الرسالة الغرامية برمتها. أعجبتها الكلمات، فقالت في نفسها: "إنه شاعر هذا العاشق الولهان المجنون.."
خفّ اكتظاظ الحافلة و لم يبق على متنها مسافرون واقفون. بحثت ببصرها عن صديقها و ضيفها فرأته يجلس بعيدا عنها و هو غارق، كعادته، في مطالعة كتاب. نظرت إلى ساعتها ثم تطّلعت إلى الخارج من خلال النافذة البلورية. مازالت بلدتها بعيدة، عادت إلى قراءة الرسالة متشوّقة لمتابعة بقيّتها، يكاد صبرها ينفذ لتعرف مرسلها. و لم تشأ أن تحرق المفاجأة، صوت بداخلها يقول: "مرّي مباشرة إلى آخرها لتتعرفي على مرسلها من امضائه.. **!**"

واصلت القراءة بشغف:
"حبيبتي، إني أحبك، و هل بعد الحبّ كلام؟ إني أحبّك، و هل قبل الحبّ كلام (...)"
عند هذا الحدّ، توقفت الفتاة عن القراءة، قائلة في نفسها: "إنه فيلسوف هذا العاشق المجنون.."
الآن، بعد أن عرفت أسلوب الرسالة اللّغوي و تراكيبها الدلاليّة و دونما حاجة إلى انهائها – و قد كانت رسالة طويلة – فأصبحت ممّلة و غير مفهومة. إنها الآن تعرف صاحبها و لا حاجة لها أن تلقي نظرة على امضائه في آخرها.
نهضت من كرسيها في حركة انعكاسية، حملت حقيبتها في يدها و سارت في اتجاه مقعده. وقفت بجانبه و نظرت إليه واجمة من فوق إلى أسفل و من أسفل إلى فوق. كان هو منغمسا في المطالعة و لم ينتبه لوقوفها بجانبه. ظلت الفتاة تنظر إليه حانقة. فجأة تغيّرت ملامح الغضب من على وجهها لتأخذ طابع السرور المقصود.
توقفت الحافلة في قرية صغيرة. نزل منها بعض الركاب، انتبه هو إلى توقفها، نظر وراءه في اتجاه

مقعد نجوى، ظنا منه أن هذه المحطة هي محطتها الأخيرة و أن صديقته ستدعوه الآن للنزول. فهو و إن لم يكن يعرف تحديدا بلدة نجوى فهو يعرف جيّدا أن بلدتها هي آخر محطة في هذه الرحلة، حسب ما أخبرته به زميلته.
خلت الحافلة من جميع ركابها، إنها المحطة الأخيرة. لم تكن نجوى في مقعدها المعهود. غادر هو مقعده. وقف بجانب مقعدها هي. لم تكن بالمكان.
المقعد فارغ إلا من ظرف أصفر و أوراق مبعثرة. ترك الأوراق على حالها.
نزل من الحافلة ليبحث في ذلك المكان عن وسيلة نقل تعود به إلى العاصمة.

– تمت –

فلنذهب الآن..

صحيح أن النساء متشابهات و لكنّهن لسن متماثلات. فهن معادن مختلفة و نماذج متباينة و إن جمعتهن "نون النسوة". و لسن متشابهات "كيف العضام" (بيض الدجاج) كما كانت تقول جدّتي، رحمها الله.

فلا تصدق إن قيل لك أن جميع النساء يملن بالغريزة إلى حب الترف و الغنى و يرمن السكن و الإقامة في "الفيلات" و القصور في المدن الكبيرة و يفضلن الغالي من الملبس و المأكل و المشرب و ركوب السيارات الفاخرة و التجمّل بالحلي الغالي. و لا تصدق إن قيل لك أن جميعهن يمقتن العيش في منازل متواضعة في قرى صغيرة نائيّة.

هذه قصة، على سبيل الذكر لا الحصر، راويتها هي بطلتها، خرجت عن قطيع "العضام" (حسب نظريّة جدتي). رفضت أضواء المدينة و بريق الجاه فخيّرت واعية تواضع القرية و هدوءها.

ooooooooooooooooo

بدّلت رجل الأعمال، الغني المقيم في قصر باهر في مدينة ساحرة، برجل بسيط له منزل متواضع بقرية متواضعة.
أروي لكم هذه الحكاية كما حدثتني بها صاحبتها.

قالت محدثتي: "كنت على يقين أنه عليّ الاختيار فأنت لن تنتظرني طول العمر.
و من حقك ألا تبقى معلقا دون قرار قاطع مني.
إذن لماذا لا أحسم أمري و أوافق؟
هل أن تردّدي يعود إلى خوفي من خوض غمار تجربة جديدة؟ ام أنّني لاأزال أحبّ "أحمد"، الزوج الذي انفصلت عنه بالطلاق منذ ثلاث سنوات مضت. لقد أحببته دائما – أصدقك القول – حتى عندما صرّح لي بأنه لم يعد بوسعه الصبر أكثر و أنه مضطر إلى تطليقي لأني عجزت عن التأقلم مع الحياة التي رسمها لي و لذاته و لأولاده.

كنت على يقين من أنه هو الآخر يحبني، غير أن طموحه كان أكبر من هذا الحب و تم طلاقنا.

تركت الصدمة في نفسي جرحا قد لا يندمل. جرح ينزف قلقا و أرقا ملؤه عدم الثقة بنفسي و عجزي الواضح عن مواجهة مرارة الواقع. و عدم قدرتي على اثبات ذاتي في أفق آخر.

تواترت الذكريات متسارعة أمام عيناي، و أنا قابعة منذ لحظات في انتظارك في هذه الشرفة المطلة على الميناء و أضواء السفن تلمع لمعانا خافتا عن بعد. هل تريد أن أحدثك عن حياتي مع "أحمد".؟
لقد نشأت أنا و أحمد فوق أرض هذه الجزيرة الطيبة المعطاة. و أحببنا كلّ شيء في قريتنا الصغيرة، فعشقناها و تعلقنا بها كما يتعلق الرضيع بأمه. حنت علينا و ضمتنا إليها مباركة التقاءنا في أحضانها.
كان "أحمد" متميّزا، ليس في دراسته فحسب، و إنما في شخصيته المعتدة. و قد نعته البعض "بالواهم" و هو يتحدث في صباه عن المشاريع الاقتصادية العملاقة و المقاولات المعمارية

الضخمة التي ينوي إنجازها مستقبلا. و لم يتصور أحد أن ذلك الصبي النحيف و فارع الطول كان يعني كل كلمة قالها، و أن طموحه وُلد معه و سرى في دمه و أمسى عقيدته التي يعيش و يحيى من أجل اثباتها. و لم يلتحق "أحمد" بالجامعة كان مثلي ينتمي إلى أسرة متواضعة لا يتحمل دخلها الضئيل مصاريف دراسة طويلة. فالتحق بعد حصوله على شهادة التعليم الثانوي بمعهد مهني تخرج منه بعد سنتين و هو أكثر تحمسا و أشد طموحا. و بدأ العمل الحرّ من الدرجة الصفر عازما على تحقيق أحلامه و التدرّج في سلم النجاح العملي.

إذا كان الكثيرون قد سخروا من حماسته بادئ الأمر و نعتوه بالغرور و التهوّر، فإن الجميع لم يلبثوا أن حنوا رؤوسهم تقديرا للشاب الصغير النحيف ذي العزيمة الفولاذيّة. الذي لم يأنف من العمل "صانعا" في ورشة ميكانيك حتى استطاع بالكدّ و الجهد المضني و ضع نواة المشروع الكبير الذي كان يحلم به.

كنت يا "مهدي" أرقب كفاحه بقلب خافق، ذلك أنني أحببته، ذلك أنّني أحببته دوما. أما هو فلم يكن يوليني اهتماما، منصرفا إلى بناء أحلامه، ربما هي التي كانت تحجبني عنه. وربما لأني لم أكن ذات جمال باهر. كنت مجرد فتاة عادية خجولة و منطوية على نفسي. لا أتمتع بتلك الأنوثة الجذّابة. لحظة بدأ اسمه يلمع في مدينتنا الصغيرة و الناس يأتون إلى ورشته حتى من المدن و القرى المجاورة. ازددت يقينا بأنه لا يمكن أن يلتفت إلى فتاة مثلي و هو الذي صار بمقدوره أن يرتبط بأجمل البنات. أحسست بأن هوة سحيقة تفصل بيننا. فإسمه ما انفك يكبر و يتضخم و أنا لا أستطيع إلا أن أكون نفس البنت العادية البسيطة التي لم تنل إلا قسما متواضعا من التعليم.

لكن، حدث ما لم أتوقعه و إن كنت تمنيته من كلّ قلبي..

تقدم أحمد لخطبتي، دون مقدمات، و تم الزفاف في كنف مظاهر الغبطة و الدهشة لحظي السعيد. و على الرغم من انشغال زوجي بأعماله التي

أخذت تتفاقم تدريجيا حتى شملت تجارة قطع غيار السيارات على اختلاف "ماركاتها" و أنواعها. عرفت برفقته معنى السعادة، منحني كل شيء بسخاء و انطلقنا من حيّنا الشعبي البسيط إلى "فيلا" أنيقة و فخمة في أرقى أحياء مدينتنا. أحسست عندها أنني و صلت إلى القمة..

لكن، طموح أحمد لا ينفك يتنامى و بإطراد، فهو يؤمن بأن ما وصل إليه هو مجرد بداية لا غير و أن بينه و بين القمة – التي تصورت واهمة أننا وصلناها –خطوات واسعة و مسافات طويلة، عليها أن يقطعها. حتى كانت تلك الأمسية، التي فاجأني فيها متسائلا: "حبيبتي، ألا ترغبين في الانتقال إلى "تونس" العاصمة؟" لم تعتريني الفرحة، على عكس ما توقع هو، بل انقبض صدري. إذ لم أكن أريد أن أصبح جزءا من تلك الحياة الصاخبة في العاصمة. كنت أميل إلى حياة قريتنا الهادئة. قلت له معترضة: "ما حاجتك إلى العمل في العاصمة.؟ لقد نجحت هنا و علا نجمك في الجهة كلها، ماذا تريد أكثر من ذلك.؟" أجابني،

يا مهدي، بكل ثقة في نفسه: "عيبك الوحيد قناعتك يا حبيبتي. إن وراء مدينتنا الصغيرة هذه عالما باهرا، يضج بالحركة و يزيد الأحلام توهجا. و حينما نكبر فيه سيجئ حتما اليوم الذي تسترجعين فيه الذكريات و تضحكين على ضآلة ما نحن فيه."
تأملته.. باهتة، راعتني نظراته و قد انبعث منها بريق متوهج، أقلقني كثيرا، دار رأسي و تخيلت أحمد وسط عالم صاخب و الناس يدفعونه بعيدا عني. و تملكني خوف مبهم، إنه وسيم و جذاب و ناجح، و قد لاحظت نظرات النساء تحوم حوله في اعجاب في أكثر من مناسبة. على الرغم من ذلك شعرت بالأمان إذ ما يربط بيني و بينه هو رباط قلبيّ متين. أما في "تونس" أما في "العاصمة".. **!** و في قلق جارف، قلت: "أحمد، لا أزال أفضل حياتنا الحالية كما هي، برغم هذه الأضواء التي تتحدث عنها هناك." قال ضاحكا: "عندما ترتدين أفخر الملابس "عل الموضة" و أضع حول جيدك الناصع أغلى المجوهرات

و أزيّن معصميك بأنفس الأساور وأصابعك بأجمل و أثمن الخواتم، ستغيّرين حتما رأيك هذا، حبيبتي.. **!"**
قلت في حزم: "لا أطمع في شيء من هذا أو ذاك و يكفينا ما وصلنا إليه هنا من نعمة شاملة."
رمقني طويلا بنظرة غريبة قائلا: "أرجوك.. سيري معي قدما..
لا تسحبيني إلى الخلف.. **!"**

لم أكن أتصوّر أنه جاد في ما يقول. لكنه بأسرع ممّا تخيّلت شرع في تنفيذ مشروعه الكبير. و أصبح له في "تونس" مكتب و توكيلات و اتفاقيات و عقود و "أفاريّات" (أعمال) عديدة و صار يقضي أغلب أوقاته فيها، في "فيلا" فخمة اكتراها هناك.
أعترف، يا مهدي، بأنني دعوت الله أن يفشل. كنت بدعائي هذا أحاول قهر المجهول الذي يؤرقني. لكن أحمد، نجح كالمعتاد. و جاءني يوما قائلا: " اشتريت في العاصمة شقة كبيرة و جميلة وأثثتها،

في أرقى الضواحي و لا ينقصها إلا وجودك." داهمني الخوف، أنا لم أذهب إلى العاصمة من قبل، ولو مرّة واحدة، قلت بسذاجة: "ليست لدي ملابس تليق بالحياة في العاصمة.. أين أنا من العيش في "تونس" الصاخبة..؟" قهقه، هو، ضاحكا و قال: "العاصمة لا تحتاج إلى ملابس خاصة، و مع ذلك اذهبي لشراء ما شئت بمجرد و صولنا هناك.. لك، تحت تصرفك، كل ما تريدين من المال.. **!**"

لم أكن أريد مالا أو مجوهرات أو ملابس، إنما كنت أرغب في أن أظل في بلدتي حيث أشعر بمطلق الطمأنينة و الأمان. حيث لا أحد يمكن أن يسخر من مظهري أو يحاول "سرقة" زوجي و انتزاعه مني. و مع ذلك، سافرت معه إلى "تونس" المبهرة الساطعة بكل أضوائها و صخبها. هناك شعرت بضآلتي. ازددت شعورا بحقارتي فيها حينما اشتريت أثوابا لم تثر إعجاب أحمد. حتى أنه أصر في اليوم التالي أن يختار بنفسه ملابسي.

تجسم ذلك الشعور بالضآلة عندما صمّم أن يصطحبني معه إلى مجتمعه الجديد المكوّن من رجال أعمال أغنياء و مديري بنوك و غيرهم من كبار المدينة "الكبرى." اكتشفت أنه أصبح شخصية لها ثقلها و موقعها في "تونس." و بقدر ما بدا هو وسط ذلك المحيط أنيقا متميّزا محبوبا، بقدر ما ظهرت أنا بجانبه "ضئيلة" "كئيبة" "منطوية" خافتة"، حتى أن الجميع تجاهل وجودي و رغب عن مجاملتي.
بعد إقامة قصيرة هناك، رجوت زوجي أن يسمح لي بالعودة إلى مسقط رأسي و لو لفترة قصيرة. قال لي معتذرا: "لن أتمكن من التردد على قريتنا كثيرا، مسؤوليات عملي و ارتباطاته هنا في العاصمة لا تسمح لي بعطلة. امض بعض الوقت مع أهلك ثم عودي.. السيارة و "الشيفور" (السائق) على ذمتك.."

بالفعل لم أبتعد طويلا عن زوجي. فعدت إليه محاولة التكيّف مع حياته الجديدة بكل ما فيها من

حفلات و "سهريات" و علاقات و مجاملات و زيارات. و كلما ازدادت وطأة شعوري بالغربية و الضآلة، كنت أهرب عائدة إلى جزيرتنا الهادئة، تاركة أحمد لحياته الجديدة. و كانت النتيجة أننا خلال عام برمته أمضينا أغلب الوقت بعيدا عن بعضنا. هو في "تونس" و أنا هنا بمفردي، إذ لم نكن قد رزقنا بعد بأبناء.

فاجأني بحضوره إليّ على غير عادته في بيت أهلي، بادرني قائلا: "من الاستمرار على هذا الوضع. تدركين ذلك تماما كما أدركه.. **!** لا أنا بالمتزوج و لا أنا بغير المتزوّج." شعرت بذعر لم يساورني مثله من قبل. و استطرد قائلا: "صحيح أنني أحبك، غير إني بحاجة إلى زوجة تعيش معي إلى جانبي دائما و في المكان الذي أنا مستقر فيه. حياتي أصبحت مرتبطة بعملي هناك، في العاصمة، و أريد لأولادي في المستقبل أن يتعلموا في أرقى مدارسها. و أنت، يا ذكرى، أرغب في أن أراك متأقلمة مع مجتمعي، قادرة على مواكبة رحلة طموحي. في استطاعتك ذلك لو أعملت

إرادتك و حكمت عقلك. أنا أحبك و أريدك. لكنني تعبت من الحياة بمفردي هناك.." لم أجد ما أجيبه به، كان على حق، إنه يحتاج إلى زوجة تكون له رفيقة و مرافقة حيثما ما حل. أخيرا، رفعت وجهي نحوه قائلة في توسل: "ألا أستطيع أن أبقى هنا و تأتي أنت لزيارتي بين الحين و الآخر..؟ تأفّف قائلا بحدة، وهو يقف،: "كأنني أحرث في البحر. لا.. لا ليست هذه هي الحياة التي أريدها لنفسي.. ! اسمعي.. ! إذا لم توافقي عل المكوث معي نهائيا في العاصمة فأنا مضطر إلى الانفصال عنك نهائيا.."
صرخت متألمة: "هل هنت عليك إلى هذا الحدّ..؟ قال في وثوق: "كنت معك عادلا، أعطيتك أكثر من فرصة و لازلت أعرض عليك حلاّ لمشكلتنا، يلم شملنا. فإختاري، حالا، بيني و بين "هنا"

فشلت محاولاتي وتم الطلاق. و اختفى أحمد نهائيا من حياتي. و قد باع كل ما يملك هنا و استقر في عاصمته دون رجعة. بعد سنة كان لقائي بك

و أنت الموظف المبتدئ بإحدى الإدارات و القادم من قرية نائية في أقصى الجنوب و المنتمي إلى أسرة متواضعة مثلي، لا يطمع في أكثر من "الستر" و راحة البال. ارتحت إليك و أعجبت بقناعتك النادرة. تذكر أن الفضل في تعارفنا يعود إلى (مضمون ولادة) ساعدتني على استخراجه بسرعة لإضافته إلى ملف طلاقي من أحمد. و منذ تلك اللحظة أحسست أن رابطة قوية ستجمع بيننا في يوم من الأيّام.

و الغريب أنني على الرغم ممّا شعرت به من أنك أنت هو الرجل الذي كان عليّ أن أتزوجه منذ البداية للتشابه الكبير في طباعنا. إلا أنني كلما حاولت إقناع قلبي بك، كانت ذكريات حبّي لوجي السابق تقف حائلا بيني و بينك. و لم تكن أنت في الحقيقة تستحق مني هذا الموقف السلبي. لذلك قررت اتخاذ موقف حاسم مع نفسي مهما كانت النتائج. ما كان يمكن لي الوصول إلى قرار حاسم دون أن أواجه أحمد و أعرف حقيقة ما أريد.

سافرت إلى تونس، اتصلت هاتفيا بأحمد و اتفقنا على اللقاء في مشرب نزله الفاخر. لحظة و قف أمامي، شعرت كما لو أن الزمن قد توقف أو أُلغي تماما. كأن ثلاث سنوات لم تمر على فراقنا. هتف كل منا باسم الاخر:

- "ذكرى.. !"
- "أحمد.. !"

تعانقت يدانا في شوق حارق. نظرت في عينيه بإعجاب، قال مرتبكا:

- "مرحبا بك.. اشتقت لك كثيرا.. !"

ابتسمت قائلة:

- "اريد الاعتراف لك بأنني لم أستطع نسيانك، كنت مجنونة..! إذ لم أستمت في سبيل ارضائك. أرجو ألا يكون الوقت قد فات من أجل محاولة جديدة.. !؟

أشعل سيجارته – و لم يكن يدخن على عهدي به – ظل لحظات صامتا ثم تكلم ضاغطا على مخارج ألفاظه:

- "هل تغيّرت حقا.؟ هل في استطاعتك التكيّف مع حياة العاصمة بكل ما فيها من التزامات كزوجة رجل أعمال ناجح و مشهور..؟"

لم أكن في الحقيقة قد فكرت في ذلك. كلّ ما فكرت فيه هو أن أعود إلى حياته،

قلت بتردد:

- "سأحاول.. **!**"

قال، بعد أن صمت برهة:

- "أنت حاولت مرارا و تكرارا في الماضي و كان الأمر فوق احتمالك. هل تذكرين..؟"

كان على حق، أنا لم أتغيّر، مثلي لا يتغيّر، تظل في قوقعتها. لا تتمكن من مشاركة رجل طموح مثله رحلة حياته الصاخبة في عاصمته الصاخبة. و لكن.. قطع عليّ حبل أفكاري الشاردة، قائلا بافتخار:

- "لقد تزوجت منذ سنة من امرأة رائعة و متجاوبة مع وضعيتي و تشاركني مجالات حياتي و أعمالي. نجحت معي و نجحت معها. و كانت المبادرة منها هي.."

و كأنما أراد أن يترفق بي فوضع يده فوق يدي هامسا:

- "ما من شك في ان الحب الذي جمعنا يوما لن يموت وسيبقى بوجداني دائما و أبدا. لكن صدقيني، إن كلانا كان الشريك الخطأ

للآخر و مسؤوليتي عن ذلك أكبر من مسؤوليتك أنت. و كنت قد وُفقت الآن إلى الشريكة الملائمة. فثقي بأنك ستعثرين على رجل مثلك و مناسب لك لا تستهويه لا العاصمة و لا المال و لا الجاه. فلا تنظري إلى الوراء و لا تفكري في شأن قد فات و انقضى.. **!"**

قلت في صوت مبحوح:

- "معك حق.. لقد جئت إليك باحثة عن جواب معين و ها أنني قد عثرت عليه.."

تركني و انصرف إلى عالمه، انتهى كل شيء بيننا، قد يكون ذلك أفضل. فهو يستحق فرصة السعادة التي وفرتها له زوجته "بنت تونس". أما أنا، كما هي أنا، فانت تنتظرني لأنك تناسبني لنسير على درب واحد و نحو هدف واحد. أستطيع أن أبدأ معك صفحة جديدة بيضاء ناصعة. فهمت أخيرا نفسي. إنني إمرة ليست ككل النساء أو أن جميعهن لسن مثلي. المهم ان ما يخطف أبصارهن و قلوبهن لا يعنيني. المال و مشتقاته لا يهمني بقدر ما يهمني التواضع و يجتذبني الهدوء و "راحة البال" بعيدا عن الصخب و الضجيج. هدوء النفس و رضاها. شعرت بالراحة لأوّل مرّة

في حياتي، كُتب عليّ و ما أمتعه من اختلاف بالنسبة إليّ.
يا مهدي، إن فهم النفس يؤدي إلى السعادة فهمت إني لست مثل كل النساء، أنني مختلفة، وكفى..
و أنني سعيدة مغتبطة باختلافي هذا. المال وسيلة لا غير و لن يكون في عينيّ غاية اطلاقا. ولاح لي وجهك، عزيزي، وجه راض طيب المحيا بلا ظلال و بلا بهرج. فأحببتك بقلبي و عقلي و ازددت اقتناعا بك و تمسكا باختلافي.

فرغت ذكرى من حديثها ثم تطلعت إلى تلك الأضواء الخافتة المنعكسة على سطح بحر جزيرتها تتأملها في صمت.
أشعلت، أنا، سيجارة نفثت دخانها في شرود. وضعت يدي فوق يدها و خاطبتها برفق:
"حبيبتي، فلنذهب الآن.. **!"**

– تمت –

مدمن مناظرات وظيفية..

عند منتصف النهار جلب "جلال" صاحب دكان المواد الغذائية بالحي رسالة إلى "كمال". سلمها له و كان بصدد تناول وجبة الغداء برفقة أمه.

- "شكرا، جلال.. !"
- "لا شكر على واجب.. أرجو أن تحتوي على خبر سار.."
- " سار أو غيره.. لا يهم، صديقي."

و ضع كمال الظرف بجانبه في لامبالاة دون أن يتصفحه. و تابع تناول طعامه.

أما جلال فقد انصرف.

كمال، شاب تجاوز العقد الثالث من العمر. لم يبق له أحد في هذه الدنيا غير أمه الطاعنة في السن.

ooooooooooooooooo

أما أخوه و أخواته البنات فقد فرقتهم الحياة. كل واحد منهم سلك فيها دربه الخاص به. أمّه لم تعد قادرة إلا على السمع (قليلا)، أما البصر فقد ضاع جراء بكائها المتواصل على أخيها الوحيد، خال كمال.

درس كمال في الجامعة و لم يفلح غادرها منذ حوالي خمس سنوات. حاول أن يعمل في أكثر من مكان غير أنه فشل و شارك في عشرات المناظرات العمومية و الخاصة و لم يسعفه الحظ حتى في واحدة. لطالما حاول أن يشتغل و يعيل أمّه العاجزة الطاعنة في السن غير أنه كان في كلّ محاولة يعود خائبا ليرتمي في حضنها باكيا نادبا حظه العاثر. كانت أمه المسكينة تواسيه و قلبها يبكي هذا الابن التعيس، قائلة: " لا عليك يا كمال.. جراية المرحوم أبيك، تكفينا حتى "يفرجها ربي..". فكان كمال يرد عليها في يئس، قائلا: "إلى متى، يا أمي..؟ لقد تعبت.. تعبت.. ! ألا ترين أن أترابي جميعهم أحسن مني حالا و يشتغلون، حتى الذين لم يدرسوا.. هل هي اللعنة..؟ يا أمي.."

لم يكن كمال يضيع أية مناظرة فيبادر - مبكرا- بتقديم ملف ترشحه حسب الشروط المنصوص عليها و في الآجال المحددّة. و بعد ايّام من ارسال الملف يتلقى استدعاءً للمشاركة في المناظرة.
أحيانا كثيرة يضطر إلى استلاف المال لتغطية تكاليف سفره وإقامته من أجل ذلك "الكنكور" (المناظرة). و لم يكن يُوفّق دائما في "سلف الفلوس" و كان غالبا ما يتلقى ردا محرجا على طلبه، خاصة من قبل أعمامه.
عندما يُنهي جميع اختبارات المناظرة على أحسن وجه، يعود إلى بلدته منتظرا نتيجة المناظرة. لكنها لا تأت.
شارك كمال في أكثر من عشرين مناظرة، أُقيمت في أكثر من خمس مدن أقربها إلى بلدته كانت تبعد حوالي ثمانين كيلومترا، و لم يتلق ولو مرّة واحدة نتيجة إحداها.
أقسم كمال منذ أكثر من سنة مرّت أنه لن يشارك أبدا في هذه "الكنكورات" الغريبة و المشبوهة و الابتزازية. فعلا أقلع عن متابعة الصحف التي

كان يصطاد فيها إعلانات المناظرات. ولن ينسى تلك الصحيفة اليومية الناطقة بالفرنسية و المعروفة و التي كان ينتظرها أمام كشك الصحف الوحيد الموجود في بلدته، منذ الصباح الباكر شتاءً وصيفا أحيانا لأكثر من ساعة، مقرفصا أمام الكشك المغلق و الذي لم يكن صاحبه يفتح بابه إلا بعد الساعة التاسعة صباحا.
بعد أن "بطّل" شراء تلك الصحف أو قراءتها، أحسّ في البداية أنه كأنما يقلع عن التدخين.. تعب و تأرّق كثيرا. لكن بمساعدة أمّه استطاع أن يعيش حرّا بغير قيود بعيدا عن المناظرات و الجرائد.
في إحدى المرات جلب له أحد أصدقائه عددا من جريدة أسبوعية عامة، عثر في ركنها الأدبي على قصة قصيرة من إنتاج كمال:

- "كمال، : " أعجبتني قصتك هذه.."
- "عن أي قصة تتحدث..؟"
- "هذه المنشورة في الجريدة"

ooooooooooooooooo

- "ناولني الجريدة.. !"

تصفّح كمال تلك الجريدة فعثر فيها على "منتجه"

- "نعم، إنها بقلمي.. أرسلتها لهم منذ سنتين –تقريبا– و هاهي تُنشر الآن فقط.. !"
- "هذا فأل خير.. المهم أن يرى إنتاجك النور.. الصبر، يا صديقي، الصبر.."

انصرف هذا الصديق تاركا جريدته لكمال. عند المساء أعاد كمال تصفحها و بعد أن قرأ قصته المنشورة فيها.. أتى على قراءتها برمتها عمودا، عمودا و صفحة، صفحة. لاوعيا و دون أن يشعر..آه مناظرة.. ! "كنكور"، هاهو واحد من هذه الإعلانات الكاذبة المبتزة التي يمقتها كمال. و مع ذلك فقد قرأ تفاصيله رغما عنه. لعنة الله على هذه "الحشيشة" التي لم و لن يشفى منها

كمال أو من هم في مثل وضعيته. يقول نصّ المناظرة: "إحدى الإدارات الفنية ترغب في انتداب مستكتبين متحصلين على (..) مع خبرة مدعّمة في (..)" طبعا إلى جانب الشروط الأخرى كالسن و نقاوة صحيفة السوابق العدلية (البطاقة عدد3).. إلخ. رمى كمال الجريدة بعيدا عنه، ضاحكا، ساخرا من "الذي نشر نص هذه المناظرة" ثم إلتقطها في حركة سريعة. أعاد قراءة الإعلان ثانية و ثالثة.. راقته المناظرة و أعجبته. خاطب نفسه بصوت مسموع: "لما لا أشارك في هذه المناظرة..؟ لن أخسر أكثر ممّا خسرت.. ستكون هذه آخر مرّة.. قد أُوفق من يدري..؟"
نادى والدته التي كانت تصلّي في غرفتها، لم تجبه.. أعاد مناداتها.. بصوت عالي:

- "أمّي.. أمـــــــــي.. هل تسمعينني..؟"
- " اللـــــــــــــــه أكبـــــــــــر.. الله أكبر.."

ooooooooooooooooo

- "آه أنت بصدد الصلاة.. المعذرة يا أمي.. !"

بعد أن فرغت العجوز من صلاتها:

- "نعم، يا ولدي.."
- "وجدت مناظرة.. وجدت واحدة.. انشالله تخطف هالمرة يا داده.. !" (أمّي)
- "لم أسمعك يا كمال. ارفع صوتك. أو تعال بجانبي هنا.. !"

انتقل إلى غرفة أمّه:

- "أمي، قلت لك سأشارك في مناظرة هامة.."
- يا، ولدي، ألم تقلع عن هذه الأوهام التي ليس لك فيها حظ..؟"

- "سأجرب هذه المرّة، و ستكون الأخيرة.. أعدك بذلك"
- "في كل مرّة تقول نفس الكلام.. افعل كما يحلو لك.."

من الغد، أرسل كمال ملف ترشحه، عن طريق مكتب البريد، على العنوان المحدّد. بعد حوالي الشهرين، تلقى استدعاء للمشاركة في تلك المناظرة.

- "أمّي، وصلني، الآن استدعاء للمشاركة في تلك المناظرة التي حدثتك عنها سابقا.."

ناول والدته الظرف، تلمسته بيدها:

- "افتحه، يا كمال، و أطلعني على محتواه.."
- "حاضر، يا أمي، سأفعل.."

غير أنه، في حركة لاشعورية، انتزع الظرف - الذي لا يزال مغلقا – من يد أمّه. نظر إليه طويلا، أدخل يده اليمنى إلى أحد جيوب "سرواله الدجين"، أخرج منه قدّاحته، أشعلها و منها أشعل "الجواب" الأبيض ذي الطابع الأحمر الدائري. وضع كمال الظرف المشتعل في منفضة السجائر و غادر المنزل.

بعد حوالي الشهرين و عند منتصف النهار، بينما كان كمال بصدد تناول طعام الغداء، سمع طرقا خفيفا على الباب. نهض من مكانه، قصد الباب و فتحه:

- "أهلا، جلال، مرحبا، تفضل بالدخول.."
- "لا، شكرا، لقد تركت الدكان مفتوحا.. فقط جئت لأسلمك هذه الرسالة التي

سلمها لي الآن "باهي" موزّع البريد. هاهي، خذها، أرجو أن تحتوي على خبر سار.. !"

انصرف جلال، أما كمال فقد عاد ليكمل غداءه (مرقة بالكسرا (خبز شعبي تونسي) حارة كما يحبّذها). خاطبته أمه، قائلة:

- "من كان بالباب..؟"
- "جلال "العطّار"، يا أمّي.."
- "انشالله خير، يا وليدي.."
- "حمل لي رسالة.."
- "رسالة.. !"
- "نعم.."
- "انشاءالله خير.."
- "أمين.. يا ربي.."
- "هل فتحتها، يا كمال..؟"
- "ليس بعد.."

- "هيا افتحها و طمئني، يا ولدي.."

فتح كمال الرسالة دون أن يتأكد من مرسلها أو من الطوابع الموجودة على الظرف الخارجي. أخرج الورقة المرقونة، و قرأها على مسامع أمّه، التي كانت تنصت بانتباه شديد:
"إلى السيّد كمال م.:
يسرنا أن نعلمكم بنجاحكم في اختبارات المناظرة الكتابية بتاريخ (...) المجراة
بـ (...) و نجاحكم في الاختبارات الشفاهية المجراة يوم (...) بـ (...) و عليه أنتم مدعوون يوم (...) على الساعة (...) للحضور بمقر إدارة (...) بشارع الحريّة، نهج (...) عدد (...) – تونس.
لمباشرة عملكم حالا.
كما نرجو منكم ايفاءنا بالوثائق التالية (...) لإتمام ملف قبولكم.
الحضور متأكد.
تهانينا.

الإمضـــــــــاء
رئيس مصلحة الإنتدابات
(...) "

– تمت –

ooooooooooooooooo

عرس زينة..

تُعرف في حيّنا الشعبي "الدّشرة" باسم "زينة المتروكة" تجاوزت العقد الخامس بأكثر من خمس سنوات و هي ماتزال عزباء، ابنة أختها الصغرى ستتزوج قريبا، تلك الفتاة السمراء. فارعة الطول الجميلة ابنة التسعة عشرة ربيعا.
أشرفت "خالتي زينة" – مزيّنة بنات "الدّشرة" (الحارة) جميعهن – على تربية عائشة و العناية بها منذ طفولتها الأولى بعد أن توفيّت أمها و هي تضعها. عائشة تعتقد أن "زينة" أمّها الحقيقية بما أنها لم تعرف أما سواها.

"خالتي زينة" منهكة هذه الأيام في تجهيز ابنتها و الإعداد لزفافها المرتقب خلال أسابيع قليلة. قبل عائشة، زوجة "زينة" عشرات الفتيات. بدءا بحياكة فساتين زفافهن (كانت "خالتي زينة" خياطة بارعة لا مثيل لها.) و صولا إلى الإشراف

شخصيا على إطلاع أم "العريس" و أم "العروسة" على "سورية الدخلة."
عرفتها، خالتي زينة، معرفة شخصية فهي إلى جانب كونها كانت قريبة أبي، أيضا، كانت صديقة أمّي الحميمة منذ طفولتهما. قامت بيننا علاقة صداقة فاقت الصداقة لتصبح علاقة أم بابنها أساسها حبّ لا يوصف.
كنت أعتبرها خالتي و أمّي و صديقتي و "كل شيء" فكنت أبوح لها بجميع جزئيات حياتي الخاصة و العامة فكانت تنصحني و توجهني و قد تنهرني أحيانا و تصفعني "برفق و محبة" أحيانا أخرى.
أذكر، في ما أذكر، أنها مرّة وجدتني و (...) في وضعية عشق في زريبة شياهنا. فما كان منها إلا أن انصرفت متخفية دون أن تقول كلمة واحدة. و من الغد أرسلت من يطلبني و عندما وقفت أمامها داعبتني قائلة: "تتكيّف بالدرقة يا وحيّد.." ثم ضحكت و ناولتني كأس شاي أخضر كانت بصدد تحضيره.

كانت خلال "قعداتها" مع أمي حول "براد التاي" تداعبها قائلة: "هذا الفتى هو ابني الذي لم أنجبه.." تضحك طويلا ثم ترفع إليّ عيناها غامزة و كأنها تقول لي: "أنت إبني و (هي) ابنتي فإفعلا ما بدا لكما، لكن استترا.."

زارتنا اليوم عند الظهيرة، كانت أمّي منهمكة في إعداد الشاي الأخضر لأبي الذي كان يقرا جريدته اليومية، كعادته منذ أكثر من ثلاثين سنة أو يزيد، و حتى قبل أن يولد أخي الكبير الراحل. أما أنا، فكنت أتابع مشهد دخول "أمّي زينة" إلى "سقيفة" المنزل باهتمام بالغ. توجهت رأسا إلى حيث تجلس أمي. بادرتها بالكلام في عجلة واضحة:

- "أخبرتني "داده"(أمها) أنك تسألين عني، ما الأمر..؟
- "كل الخير..بإذن الله، يا زينة.."
- "تعلمين، يا حليمة، أنني مشغولة جدا بالإعداد

لزفاف "بنيتي" عائشة، لذلك لم أستطع زيارتك عند الصباح، كما طلبت أنت.."

- "أنا كذلك مشغولة مثلك، المهم أنك جئت.. إجلسي لتشربي كأس شاي معنا و بعدها سأخبرك بالموضوع."

جلست "الخالة زينة" و علامات الحيرة تبدو على وجهها الأسمر الطويل نسبيا، علاوة على علامات الإرهاق و "قلة" النوم. ناولت أمي أبي كأس الشاي، شربه على "رشفات" ثم انصرف إلى غرفته للقيلولة.

عادت أمي لطرق موضوعها و هي توزع علينا كؤوس الشاي الأخضر "المجيدي".

- "كنت أقول، يا زينة أختي.."

توقفت فجأة عن الحديث و نظرت إلي قائلة بصوت هامس، بينها و بيني:

- "غادرنا، يا ولدي لأننا سنتحدث في موضوع نسائي.."

و هنا تدخلت خالتي مقاطعة أمّي:

- "دعيه يا حليمة.. إنه ابننا و ليس بالغريب.."
- "كما تحبين.. كنت أقول إذن إنني أريدك في موضوع يتعلق بـــ .. بالعرس يا زينة.."
- "عرس.. عرس "بنتي".. عائشة.."
- "لا.."
- "عرس من إذن..؟"
- "عرس.. عرسك أنت.."
- "ماذا....؟"

وارت خالتي و جهها في خجل و اضح و تمنت لو أن الأرض تنشق لتبتلعها.

- "ليس في الأمر ما يخجل، ياأختي.. كل إمراة مصيرها الزواج.."
- "لكن يا حليمة.. ! زواج.. أنا.. يا إلهي.."
- "إلى متى، يا زينة تتجاهلين سنة الله.. إلى متى سترفضين من يتقدم لطلب يدك.. الأيام تمر.. و قد تكون هذه آخر فرصة.. ."
- "ماذا تقولين، يا حليمة.. أنا أتزوّج في هذا العمر.. هذا مستحيل.."
- " و لما لا.."
- "ومن يتزوج "عجوز" مثلي على أبواب الستين.. !"

ooooooooooooooooo

- "هناك من تكلّم عليك و يرغب في الزواج منك.."
- "هذا غير معقول، يا حليمة، غير ممكن.."
- "سأوضح لك الأمر يا زينة.. اسمعيني.. منذ توفيت شقيقة زوجي، السنة الماضية، و زوجها لا يتوقف لحظة عن الاتصال بنا لنعثر له على زوجة من أقارب زوجته المرحومة، حتى تكون أقرب لأولاده و أحنّ عليهم من "مرا" أخرى،.. أنا و ابن عمّك (والدي) رشحناك له.. فما رأيك، يا زينة..؟"
- "أتزوّج بهذا العمر.. هذا "شي يحشّم" يا أختي.."

ooooooooooooooooo

- "لا خجل في سنة الله.. من حقّك أن تتزوجي و في أي عمر يشاء الله.. هذا أمر مكتوب على الجبين، يا زينة.."
- "ماذا سيقول الناس عني.. يا إلهي.."
- "كل الخير.. الجميع يتمنى سعادتك و سترك يا زينة.."
- "أمّي، عائشة، وأبناء إخوتي من يرعاهم..؟"
- "لهم الله.. لن يتوقف العالم بزواجك أنت.. فكري في نفسك أولا مثل باقي مخلوقات "ربّي"..

تصمت أمي و تصمت "خالتي" قليلا. أما أنا فقد حاولت، ألا ألفت انتباههما لوجودي، حتى لا أفسد عليهما حوارهما الخاص جدا هذا.
غير أن خالتي فاجأتني قائلة:

- "ما رأيك يا ولدي.. في ما تقوله أمك.."
- "خالتي.. سامحيني.. غير أنّي أرى أن أمّي على حقّ.. و هي تسعى لمصلحتك و لسعادتك.. الزواج.. سنة الله في خلقه يا خالتي.. و هو ليس عيب و لا علاقة له بالعمر أو بالسنّ.."
- "لكن، يا ولدي.."

هنا تدخلت أمّي بحزم واضعة حدّ لهذا الحوار:

- "الآن.. "توّه.. توّه".. قرّري يا زينة.. إن الرجل ينتظر جوابك و هو يجلس

الآن مع زوجي في غرفته."

- "إذن هو لم يذهب للقيلولة مثل عادته.."

تضحك أمي، ضحكة محتشمة و خافتة. هامسة في إذن خالتي:

"حصلناك يازوينة.. ! "

و كان لأمي ما أرادت. خُطبت خالتي للرجل الأرمل و تم الاتفاق على موعد الزواج الذي وافق موعد زفافي بعائشة.. مرّ حفل الزفاف في جوّ من الفرح و السرور لم يألف مثلهما حيّنا الشعبي و قد احتوت منصّة الزفاف: عائشة و أنا من ناحية و خالتي زينة و زوجها العجوز من ناحية أخرى.

– تمت –

مصرع مدرّس..

لطالما دعا زميلته مدرّسة الجغرافيا، السيدة عفيفة ن.، إلى سهرة بإحدى مطاعم المدينة الفاخرة. لكنها كانت ترفض بلطف دعواته. إنها امرأة مطلقة حديثا و تخشى ألسنة الناس و "القيل و القال" هي على يقين أن زميلها هذا يسعى جاهدا لمساعدتها على تخطّي هذه الوضعية الاجتماعية و النفسية الحرجة التي تعيشها منذ انفصلت عن زوجها خلال السنة الدراسية الفارطة و قبل بدء العطلة الصيفية بقليل. و هي على يقين كذلك أن زميلها نعم الإنسان الطيّب الخدوم. و أنه يحاول مساعدتها دون أن ينتظر منها مقابلا.

خوفها ليس، بالتأكيد منه هو، بل من الناس و من وسطها. أشهر طويلة مرّت، و زميلها يلح عليها في قبول الدعوة.

اليوم، التقيا مصادفة في قاعة الأساتذة. كانت خالية إلا منهما. صافحها بحرارة و باحترام

و دون مقدمات.. طلب منها يدها و دون أن ينتظر ردّها سلمها خاتم الارتباط. مؤكدا أن مسألة الرفض أو القبول ليست الآن بيدها. و أنّها إن هي رفضت فسينتحر برمي نفسه من الطابق الثالث على مرئي و مسمع من جميع المدرّسين و التلاميذ. و ستكون هي السبب.
هي متأكدة أنه قادر على تنفيذ تهديده الطريف هذا. حرّكت رأسها عموديا (في غبطة واضحة على وجهها الأبيض الجميل) إشارة إلى موافقتها على مطلبه و في الحال.
كانت السعادة لحظتها بادية في عينيها (السوداوين الجميلتين) لأوّل مرة منذ طُلقت من زوجها. ارتمت في أحضانه لا واعية لتقبله و كلها غبطة و سعادة. تراجع إلى الوراء قليلا رافضا بلطفه (المعهود) هذه القبلة مؤكدا لها أن ذلك لن يتم إلا إذا هي قبلت دعوته القديمة على العشاء و بعد عقد القران. ضحكت في اعجاب لتقول له: "لك ذلك.." لكنها رجته و قبل أن يتم كل شيء أن يخطبها من أمها المقيمة معها في شقتها. فوافق.

ooooooooooooooooo

حلّ موعد العشاء المرتقب و في المكان المتفق عليه. أمضى الخطيبين زهاء ساعتين في جو خيالي زاه في ذلك المطعم الفاخر بين الأكل و الشرب و الرقص
و الحديث. و لم يتبادل الاثنان أية قبل أو لمسات.
و عند منتصف الليل اصطحب المدرّس خطيبته إلى منزلها على متن دراجته النارية في آخر المدينة. عند الوصول، دعته ليدخل بيتها ليشربا قهوة معا و يواصلا السهر خاصة و أن اليوم الموالي هو يوم عطلتهما الأسبوعية.
رفض دعوتها بلطفه المعهود مؤكدا أنه لا مجال الآن للاختلاء بينهما إلا بعد عقد القران و الزواج، إن أرادت هي ذلك. ألحت عليه زميلته، فأصر هو على موقفه.
ازداد إعجابها به و بتمسكه برأيه السديد و تأكدت أن ذلك دليل واضح على حبّه الكبير لها و على احترامه للرابطة المقدسة التي ستجمع بينهما قريبا.

قفل عائدا إلى مستقره الواقع في الشطر الآخر من المدينة. كانت الأمطار تتهاطل بغزارة، منعته من قيادة دراجته، فترجّل عنها. غير بعيد عن منزل

خطيبته، لقد كان يحس بسعادة من عثر على أغلى الكنوز. إنها الجوهرة الفريدة التي تعب كثيرا من أجل الحصول عليها. و من شدة سعادته راح يغني حينا و يلقي الشعر حينا آخر. لطالما عشق هذه المدرسة الخجولة الجميلة ذات النظرات الحزينة.
لحظة رآها أوّل مرة في بداية السنة الدراسية في قاعة الأساتذة منذ أكثر من ثلاث سنوات قال لنفسه: "هذه االفاتنة.. أين رأيتها قبل الآن..؟". لقد تعلق بها ربما حتى قبل أن تُبعث للوجود. متى و أين هو لا يعلم..؟ في عالم الأرواح.. ربّما..

انتبه من حالة الانتشاء القصوى تلك على صوت اصطدام بدراجته و به و بجسم آخر و قبل أن يستوعب هذه الصورة.. دهسته الحافلة..
خطيبته، المدرسة، لم تستوعب هي الأخرى هذه الصورة، و قد كانت تسير خلفه لحظة ترجل، هو، عن دراجته بالقرب من منزلها، فقد قررت مرافقته و لم تشأ أن تقطع عليه "دور" السعادة القصوى الذي كان يعيشه وقتها.

– تمت –

ooooooooooooooooo

الوداع صديقي.. -صالح مبروكي-2020

خرافة جدّتي..

لطالما حكت لي جدتي حكايات و خرافات قبل النوم، ليلا، و بعده لتغذي خيالي الطفولي. و هذه إحداها:
"همّ الصبي بقضم تمرته التي التقطها في عجلة من السّلة و إذا به يتوقف فجأة. عليه غسل هذه التمرة عملا بتوصيات أمّه: "لا تأكل الفواكه و لا الخضار قبل تنظيفها جيّدا تحت ماء الحنفية.. إياك أن تأكلها دون غسلها ستؤذيك و "تمرّضك"."
غسل الصبي تمرته مرارا. انظر الآن كم تبدو "تُميرتك" شهية و هي تلمع نظيفة. كُلها الآن، إن شئت، بالشفاء. و لا تنسى أن تبسمل قبل ذلك..
بسمل الصغير مقربا التمرة من أسنانه الصغيرة الحادة ليقضمها كما تعود، فلا أحب إليه من أكلها بقضمها قضمة-قضمة حتى يأتي عليها و لا يبقى منها غير نواتها ليضعها في فمه الصغير و يمتص، بلذة كبيرة، ما علق بها من بقية لبّ تمرته

قضم تمرته القضمة الأولى و أغمض عينيه مستسيغا عذوبتها. و ما إن شرع في القضمة الثانية حتى لاحت له ساكنة التمرة التي أطلت عليه برأسها الصغير، صارخة في وجهه بصوت عال، داعية إياه إلى التوقف حالا عن القضم حتى لا يقتلها.

توقف الصبي عن قضمته الثانية و أبعد التمرة في هلع عن أسنانه بسبابة و إبهام يده اليمنى. وضع التمرة فوق الطاولة المستديرة البلاستيكية ببطئ و برفق حتى لا تسقط ساكنتها و تتهشم على أرضية المطبخ. قسم التمرة نصفين. نصف كامل و نصف تنقصه قضمة و رمى النواة بعيدا. جلب عود ثقاب مشتعل، أمسكه بطرف و بطرفه الآخر أخرج الدودة من النصف التام الذي بقيت عالقة به. احتجت الدودة على الاعتداء الذي لحقها من الصبي، صرخت في وجهه:

- "لقد شردتني، هدمت بيتي، نهبت رزقي و تريد الآن بقر بطني بعودك هذا.. !.. سأشكوك و إذا لم أُنصف سألاحقك أينما كنت حتى في منامك و أنغص عليك حياتك.. سأنتقم منك و أُرعبك طوال عمرك.. أيّها القاتل.. !"

استعان الصبيّ بسكين المطبخ، أمسكه بكلتا يديه و في حركة خفيفة سريعة، قسم الدودة الصغيرة إلى نصفين و قسم النصفين نصفين و قسم نصفي النصفين نصفين.. فرّق أجزاء الدودة المسكينة في كل مكان: جزء أطعمه للدجاج و جزء البط و جزء للديوك الرومية و "العربية".. حتى أتى على جميع أجزائها الكثيرة.

الآن فقط، سينام الصبي مطمئنا فهذه الدودة انتهى أمرها للأبد و لن تستطيع تنفيذ تهديداتها المخيفة له.
سحب من السلة تمرة ثانية و ثالثة و رابعة و كان في كلّ مرّة يقضم واحدة من التمرات، يغمض عينيه حتى لا يرى الدودة أو إحدى بناتها و هي كثيرة، كثيرة..
كان من قضمة "تمريّة" إلى أخرى يحس بجسم صغير طري، لزج يستغيث تحت أضراسه. كان في قرارة نفسه يتألم كثيرا لما يحلّ بكل دودة سكنت تمرة من التمرات التي تعوّد على أكلها كلما عاد من المدرسة صباحا.
أقلع الصبي نهائيا عن غسل التمر قبل أكله تحت ماء الحنفية و لم يقلع إطلاقا عن أكل التمر و إن كان يعلم في قرارة نفسه أن ضحايا كثيرة ستسقط جراء عادته "السيئة" تلك.

هذه المرّة، انتبهت أمه لعدم غسله هذه التمرة. نهرته بشدة موضحة له، مرّة أخرى، مضار أكل الفاكهة الوسخة و أن عملية غسلها أمر واجب و حتمي. حتى المعلّم في المدرسة حدث اليوم التلاميذ عن مضار أكل الفاكهة غير المغسولة.

لكن لا خيار لديه فهو – الوحيد– الذي يعلم أنه إذا غسل تمرته بيديه فإن دماء الدودة التي فتك بها دون أدنى رحمة أو شفقة ستسيل بين يديه و تتدفق مع ماء الحنفية فينكشف أمره.. وتُعرف جريمته البشعة..

كانت جدتي تنتبه إلى نومي المفاجئ في وسط كل حكاية و مع ذلك فقد كانت تواصل سردها.

– تمت –

انقطعت المكالمة..

"هل تملك الآن سيارة..؟"

بماذا سأجيبها..؟ إن قلت: "نعم". أكون قد كذبت عليها. و إن أنا قلت: "لا" قد أضيعها. لماذا تسأل عن السيارة بعد ستة أعوام من فراقنا المفاجئ..؟ لم أعثر على إجابة مقنعة..

و قبل أن أجيبها عن سؤالها، كانت المكالمة الهاتفية قد انقطعت فجأة. تبا "للبرتابل". كنت سأقول لها: "لا يا حبيبتي أنا لا أملك الآن سيارة.. تعلمين أنني لم أملكها في الماضي و من المؤكد أنني لن أملكها. (أنّى لي ذلك.. بماذا.. ببطالتي.. أو بفقري..؟)

و كنت كذلك سأقول لها: "لماذا السيارة و أنا لا أحسن حتى قيادة "بسكلات"؟ لماذا السيارة و وسائل النقل العمومية كثيرة؟ لماذا السيارة؟ و نحن على مقربة من بعضنا؟ لماذا السيارة و الحب الذي يجمعنا لا يحتاج إلى سيارات و عجلات و بنزين و أداءات و رخصة سياقة؟

لماذا السيارة و أنا لا أملك حتى ثمن أجرة "تاكسي" لماذا السيارة و أنت تملكين الآن واحدة..؟
و كنت سأقول لها كلمات حبّ و شوق كانت دائما تحبّ سماعها مني، كنت سأقول لها: "أنت سيارتي، أنت ما و من أملك. أنت السيارة الوحيدة التي أفلحت في امتلاكها و استطعت سياقتها بمهارة، أو هكذا، خُيّل إليّ.."
كنت سأقول لها: "لا شأن لنا بالسيارات و لا شأن للسيارات بنا. دعنا من السيارات فهذه تُباع و تُشترى و على كل لون و شكل و "ماركة" و لكل من هبّ و دبّ. أما حبنا فهو وحيد فريد لا مثيل له في الحياة كلها. دعنا من السيارة فنحن في غنى عنها ما دام حبنا هو سيارتنا و هو طريقنا و مسلكنا و علامات مرورنا و أضوائه."

كنت سأقول لها: "هل كنت ستسألين عن السيارة لو كنت الآن بين ذراعيّ.؟"
" لكنت الآن مرتحلة فوق السحاب في سيارة الهوى المشتعلة.؟"

كنت سأقول لها: "إلى الجحيم جميع سيارات العالم.. !"
كنت سأثور و أغضب و أصرخ و أرعد. فترد عليّ هي في عذوبة و أنوثة كعهدي بها: "كنت أمزح معك.. أنت يا حبيبي كنزي و ثروتي.. أنت.. كل حياتي، أنت نور "عيوني" و ابتساماتي.."
لكن أنّى لي أن أقول لها كل هذا و هي الآن بعيدة عني في مدينة أخرى و حياة أخرى.. يبدو أن حبنا قد أصبح الآن مرهونا بالسيارات و الممتلكات.. يبدو أنه مات في قلبها أو يكاد.. و إلا لما تسألني عن السيارة.. !

"هل تملك الآن منزلا..؟"

بماذا سأجيبها هذه المرّة..؟ إن قلت لها: "نعم.." أكون قد كذبت عليها. و إن قلت لها: "لا.." أكون قد ضيعتها مرّة أخرى. لماذا تسأل عن المنزل بعد أربعة أعوام من انقطاع مكالمتنا "السياراتيّة" الأخيرة. و مثل كل مرة لم أعثر على إجابة مقنعة. و قبل أن أجيبها عن سؤالها كانت المكالمة الهاتفية قد انقطعت دون سابق إنذار..

كنت سأقول لها: "لا يا حبيبتي لا أملك الآن منزلا و لا حتى غرفة واحدة و لا حتى كوخا و لا أملك الآن سيارة و لا حتى إطار عجلة.. لم و لن أملك هذه الأشياء التي تسألين عنها و تلحين.."

و كنت سأقول لها: "أنت سيارتي و منزلي.. أنت حبيبتي و كل شيء في حياتي.."

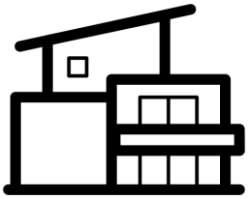

كنت سأقول لها عبارات حبّ و شوق صادقة خالصة صادرة عن حبيب لا يملك ما يهدي لحبيبته غير فيض من حب في حجم جميع منازل و عمارات و فيلات الدنيا.. أو يزيد.. لكن يبدو أنّها تغيّرت..
لماذا تسأل عن المنزل بعد هذه السنوات..؟

⌂⌂⌂⌂⌂⌂⌂⌂⌂⌂⌂⌂⌂⌂⌂⌂⌂⌂

الوداع صديقي.. -صالح مبروكي-2020

ooooooooooooooooooo

الوداع صديقي.. -صالح مبروكي-2020

"(...) هل تحب الآن واحدة أخرى..؟"
بماذا سأجيبها هذه المرّة.؟ إن قلت لها: "لا.." أكون قد كذبت عليها. و إن قلت لها: "نعم.." أكون قد (..) لماذا تسأل عن حبيبة أخرى بعد ثلاث سنوات من انقطاع مكالمتنا المنزلاتيّة" الأخيرة. و مثل كل مرة لم أعثر على إجابة مقنعة. و قبل أن أجيبها عن سؤالها كانت المكالمة قد انقطعت. (و هذه المرّة أنا من قطعها.)
كنت سأقول لها: "نعم يا صديقتي أحبّ واحدة أخرى. جميلة، صادقة، حنونة، قنوعة.. بعثها القدر لي، لا لتعوّضك لكن لتمحو ذكراك نهائيا."
و كنت سأقول لها: "أنت، كنت مأساتي: سيارتي المعطوبة و منزلي المهجور، في ذلك الماضي التعيس.."
و كنت سأقول لها: "(...)"

ـ تمت ـ

استطراد..

"لا تسقط التفاحة بعيداً عن الشجرة."
(حكمة عالمية)

"إذا كانَ أصلي من ترابٍ فكُلَّها.. بلادي وكلُ العالمينَ أقاربي."
(أبو الصلت أمية الإشبيلي)

"أصلي ترابٌ فالأنام بأسرهم لي أقربون و كل أرضٍ داري."
(ابنِ الوردي)

صالح مبروكي

كاتب و قاص تونسي من مواليد سنة 1968 بمدينة أم العرائس المنجمية، فيها زاول تعليمه الابتدائي و الثانوي، ومنها انتقل إلى العاصمة و شهادة البكالوريا آداب "في جيبه" ليدرس بمعهد الصحافة و علوم الإخبار.

فني مؤهل بشركة فسفاط قفصة منذ سنة 2002 في ميدان المكتبية والسكريتاريا و التصرف التقني.

بالاعتماد على التقنيات الجديدة في ميدان الإعلامية و الوسائط المتعددة تمكّن من تعليم نفسه بنفسه و اكتسب مهارات في الأنفوغرافيا و غيرها من الأدوات الفنية الرقمية الأخرى.

من إصداراته المنشورة: "غياهب التّيه.." (مجموعة قصصية-2019) و "طقوس ممحاة.." (مجموعة شعرية- 2020)

- **الإقامة:** أم العرائس-قفصة-الجمهورية التونسية.
- **الهاتف:**987 603 98 (216+)
- **البريد الإلكتروني:** **salehymabrouki@gmail.com**